الدكتور عبد القادر تومي

الفكر بين العالمية والعولمة





الدكتور عبد القادر تومي



مؤسسة كنوز الحكمة

Kounouz El-Hikma

للنشر و التوزيع



الفكر

بين العالمية و العولمة



المؤلف

د. عبد القادر تومي



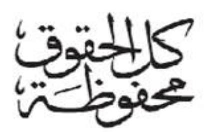
رقم الإيداع القانوني: 474 -2013

✧✧✧✧✧✧

العنوان: حي الشمس الضاحكة عمارة (أ) الأبيار – الجزائر

elhikma_enslsh@yahoo.fr





بِسْمِ الـلـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ".

(النحل25).

الإهــداء

إلى كل العلماء عبر التاريخ الذين أناروا لنا الطريق....

إلى كل طلبة العلم الذين يتشوقون إلى إدراك الحقيقة....

الدكتور عبد القادر تومي



هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب أن يفرق بين الفكر العالمي والفكر العولمي وتأثيراتهما عبر التاريخ وأدوارهما في تغيير الوعي لدى الجماعات البشرية، كما يساير تطور الحضارات ليقف على موضوعات متميزة تجعلنا نعرف حقيقة الفكر كميزة إنسانية في صوره المختلفة وفروعه المتعددة، وميادينه الواسعة، كما يبرز الفرق الجوهري بين الصيغة العولمية والصيغة العالمية لهذه الفكر من خلال عرض مجموعة من الأمثلة، التي تبين صور الفكر العالمي وخاصة من خلال الأنموذج الإسلامي، بالإضافة إلى صور أخرى من الفكر العولمي وخاصة في النماذج الغربية الأخيرة المتجلية في موجة العولمة.

الجزائر : مارس 2013

الدكتور: عبد القادر تومي

الفصل الأول

مقاربة مفاهيمية



في هذا الفصل نركز على ضبط الكثير من المصطلحات لتحديد المفاهيم وتوضيح المقاصد.

المقصود بالفكر في هذا المقام:

في البداية نرى ضرورة تحديد مفهوم الفكر من خلال وجهات مختلفة. في اللغة والمعاجم القديمة والحديثة، ثم ننظر إليه من خلال وضعه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

- الفكر في اللغة

* عرف ابن منظور في لسان العرب الفكر بقوله : الفكر، والفكر: إعمال الخاطر في الشيء (...) والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري. وقال الجوهري : التفكر: التأمل[1].

- **وعرفه الفيروز آبادي بقوله** : الفكر، بالكسر ويفتح، أعمال انظر في الشيء كالفكرة[2].

---

[1]- ابن منظور = لسان العرب = مادة فكر.

[2] - الفيروز آبادي = القاموس المحيط = مادة فكر.

- **الفكر في المعاجم الحديثة والمعاصرة:**

- **يقول جميل صليبا** : "وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[1].

- وعرفه صاحب (المعجم الوسيط) بقوله : "الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول [و] الفكرة : الصورة الذهنية لأمر ما"[2].

- **أما صاحب الموسوعة الفلسفية فقد ذكر عدة تعريفات منها:** الفكر [هو] النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الايجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات(...)

[1] - جميل صليبا = المعجم الفلسفي-ج 2- ص 156- (دار الكتاب اللبناني-بيروت-1982).
[2]- إبراهيم أنيس وآخرون = المعجم الفلسفي –ج 1- مجمع اللغة العربية –ط 2- مصر.

هو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر"[1].

- الفكر عند بعض العلماء والمفكرين قديما وحديثا:

نظرا لطبيعة المعرفة في البيئة الإسلامية الأولى، ودخول العلماء والمفكرين ميدان استنباط العلوم والمناهج والأدلة، وبروز إشكالات من قبيل ما هو كلامي أو فلسفي في الثقافة المعرفية الإسلامية، كان لهذا المفهوم حضورا في مجموع السجلات والتأليفات، وإن لم يكن في كثير من الأحيان بصيغة الفكر، وإنما جاء في كثير من المرات بصيغة العقل والتأمل والتدبر والنظر. وفما يلي بعض التعريفات المعطاة لهذا المفهوم:

أ- **يقول أبو حامد الغزالي:** "اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[2]. وقد جعل الفكر مرادفا للتأمل والتدبر.

---

[1]- نخبة من الباحثين السوفيات -الموسوعة الفلسفية-ترجمة سمير كرم-ص 333، دار الطليعة بيروت-1987 الطبعة 6.

[2] - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين-ج 4 -ص 425 -دار الندوة الجديدة-بيروت.

ب- وبالنسبة لإمام الحرمين الجويني: يدل الفكر على النظر، يقول: "والنظر في اصطلاح الموحدين هوالفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن ؛ ثم ينقسم النظر إلى قسمين : إلى الصحيح وإلى الفاسد"[1]

ج- ويعرفه التهانوي بقوله: "ولا شك أن النفس تلاحظ **المعقولات في ضمن تلك الحركة، فقيل**: الفكر هو تلك الحركة والنظر هو الملاحظة التي في ضمنها، وقيل لتلازمهما أن الفكر والنظر مترادفان"[2].

د- وعرفه عبد الرحمان الزنيدي : "والفكر في المصطلح الفكري -والفلسفي خاصة- هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي انتجها العقل البشري"[3].

---

[1]- أبو المعلي عبد المالك الجويني : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد -تحقيق أسعد تميم- ص 25- مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت- ط 1- 1985.

[2]- محمد لعلى بن علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون -ج 3- ص 1121 -دار صادر- بيروت.

[3] - أبو زيد عبد الرحمان: حقيقة الفكر الإسلامي -ص 10 - دار المسلم-الرياض-ط 1-1415.

هـ- **وعرفه طه جابر العلواني** بقوله : "الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الانسان، سواء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء"[1].

بالنظر في مجموع ما تم تقديمه من أمثلة، وغير ذلك مما تركناه تفاديا للتطويل، يستفاد ما يلي:

أ- الفكر بمعنى إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعرف بهدف الوصول إلى تحقيق معرفة جديدة.

ب- الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير.

ج- إن التفكر عملية عقلية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى حقيقة الدنيا والآخرة...

د- الفكر مرادف للنظر، وهو أعمال العقل في الأمور المختلفة للوصول إلى أمر جديد.

هـ- التفكير تمرثه التذكير.

---

[1]- طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة –ص 27- المعهد العالمي للفكر الإسلامي – هيرندن-ط 1.

الفكر كميزة إنسانية:

لقد ميز اللـه سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بملكة التفكير وبواسطتها تفصل الأنواع عن بعضها البعض كما ميزه عن الحيوان بميزات عظيمة جداً، قال تعالى: " لقد كرمنا بني ادم"[1] وقال أيضاً: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"[2] أي تكريم عظيم بخصائص عضوية خلقية وتكوينية، وخصائص عقلية روحية، وكل أنواع الخصائص التي ميز اللـه تبارك وتعالى بها الإنسان خاصة العقل والإرادة حيث إنّ هاتين النعمتين هما مناط التكليف وحمل المسؤولية والتي نأت الجبال عن حملها وحملها الإنسان.. قال اللـه تعالى: « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ»[3].

---

[1] الاسراء 70.

[2] التين 04.

[3] (السجدة، 32/7-9).

يعرف الإنسان عموما بأنه كائن حي مفكر ناطق. ويعتبر العقل من أهم ما يميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى. ونحن نرى في القرآن الكريم نطق الطير والنمل واستعمال العقل في التفكير. والآية السابقة تبين الخصائص الأساسية التي تفرق الإنسان عن غيره من الحيوانات. وهذه الخصائص هي: السمع، والبصر، والفؤاد..

الفكر في القرآن الكريم:

لقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدة مواضع، بصيغة الفعل، ولكثرتها نذكر منها قوله تعالى:

أ- (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[1]).

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية اللـه، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[2]).

---

[1] - سورة الجاثية-آية 13

[2]- الحشر/21

و هكذا نرى أنها وردت بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[المدثر:18]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:50]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176].

كما أنَّ الفكر إمَّا أن يراد به الكيفيَّة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذٍ بمثابة الأداة أو الآليَّة في عمليَّة التَّفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقليَّة ونفسيَّة.

وإمَّا أن يراد به ما نتج عن ذلك من تصوُّرات وأحكام ورؤًى حول القضايا المطروحة، ثمَّ تتَّسع دائرة مفهوم الفِكْر أو تضيق تبعًا لمنطلقات المحدّد لمفهوم الفكر، فإذا اتَّسع مفهوم الفكْر اشتمل على الموْروث الفكْري للإنسان في جَميع ميادين المعْرِفة والعلوم على الصَّعيد النَّظري، على أنَّ هناك مَن يدخل العلوم التَّجريبيَّة والتَّطبيقيَّة داخل مفهوم الفكر، فيشتمل على النَّشاط

الإنساني بعامَّة بما يخرج مفهوم الفكْر عن الفكْر ليشْتمل على مفهوم الثَّقافة بل الحضارة أيضًا.

وقد تضيق دائرة مفهوم الفكر حتَّى تنحصر في مجرَّد النَّظر العقلي في أمرٍ ما، فيكون الفكْر عندئذٍ منسوبًا إلى مبدأ، أو مذهب، أو طائفة، أو أمَّة، أو عصر، أودين.

ومن بين مظاهر تكريم اللـه للإنسان احترام عقل الإنسان وتحريره من الخرافات، فقد أعطى الإسلام قيمة كبرى للعقل الإنسان وتفكيره، فأمر بالنظر والاعتبار، وجعل التفكير في خلق السماوات والأرض وإقامة الحجة والبرهان العقلي، فريضة فقال تعالى : (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)[18]، والنصوص الشرعية في احترام العقل وأهمية الفكر، والتدبر، والتعقل والتفقه، ... أكثر من أن تحصى، إذ تكرر ذكر العقل في القرآن الكريم قرابة (50) مرة، كما حرم الإسلام الاعتداء عليه حتّى من طرف صاحبه.

فقد ميز الـلـه الإنسان وفضّله على سائر الكائنات بالعقل فبه يسمو الإنسان بمعرفة الحق والتزامه،وقد ينحط بعدم استخدام عقله إذ العقل أداة التمييز بين الخير والشر، بين النفع والضرر، كما أن العقل له دور مهم في تجديد أحكام الإسلام وجعلها موافقة لواقع الناس بالاجتهاد، ويعتبر العقل أساس التكليف في الإسلام ولذلك المجنون والصبي الصغير غير مكلفين بأحكام الإسلام.

كما حث القرآن الكريم الناس على استعمال عقولهم واستخدامها في تدبر مظاهر قدرة الـلـه، وتعلم العلم النافع، والإيمان المبني على استخدام العقل لا على مجرد الظن أو إتباع لعقائد الآباء والأجداد.

وحافظ الإسلام على العقل من حيث الوجود ومن حيث العدم، فمن حيث الوجود أوجب الـلـه كل ما يحافظ على العقل ويقيم أركانه من علم نافع وتدبر وتأمل. أما من حيث العدم فقد حرم الإسلام كل ما يفسد العقل أو يُذهبه من مسكرات كما نجد الإسلام قد حرم حتى التطرف الفكري لأنه إفساد للعقل.

التفكير باعتباره دهشة:

الدافع إلى التفكير هو الدهشة وحدها كما يؤكد "أرسطو" في مؤلفه الميتافيزيقا-. و يرى أن الدهشة هي اعتراف الانسان بجهله الخاص والشعور بأن الحقيقة ليس هي ما نعرفه و ما تمّ تلقينه لنا بالعرف والتقليد و إنما ما يجب على كلّ إنسان معرفته بنفسه. وما يجب معرفته من حقيقة يستدعي التفكير أي التساؤل والبحث عنها وراء المظاهر.

أما بشأن التفكير كفعل بشري يقسم العلماء أصناف التفكير إلى قسمين رئيسيين هما التفكير الساذج[1] والتفكير الناضج.

❖ **التفكير الساذج:** وهو صنف من التفكير اللاعقلاني، شاع بين الناس في العصور الماضية الأولى حيث كان الإنسان لا يفسر الأشياء تفسيرا علميا بل يفسر الحوادث تفسيرا ميتافيزيقيا أو غيبيا.

---

[1] إذ يمكننا الحديث عن تفكير سحري ... أو تفكير "بدائي" "أو ما يحلو لبعض علماء الأجناس تسميتها حديثا بالتفكير العتيق

ومن صوره نجد التفكير السحري، أو التفكير الخرافي، الذي يستخدم لوصف طائفة واسعة من المعتقدات غير العلمية وغير المنطقية في بعض الأحيان. وهي تتركز عموما على الربط بين الأحداث، فعلى سبيل المثال، يمكن اعتبار الاعتقاد في قوة التعاويذ أو في مصداقية الأبراج والتنجيم تفكيرا سحريا، ويدخل في هذا الإطار قراءة الطالع والكف والفنجان، وقد انتشر التَفْكيرُ اللاعقلاني في كل مستويات الناس الفكرية والثقافية، علما أنهم يَجِدونَه أكثر إلحاحاً في أغلب الأحيان مِنْ تفكّيرهم العقلانيِ، وربما يكونُ الاستعداد لتصديق الخرافة -ضمن حدود معينة -جزءًا من الطبيعة البشرية، ذلك أن كل الناس تقريبا مستعدون في ظروف معينة لأن يصدقوا ما لا يقوم عليه أي دليل مادي. كذلك فإننا نرث حكايات وأقوال ومعتقدات كثيرة تجمع بينها صفة أنها لا عقلانية أو خرافية ونادرا ما يفكر أحدنا في معقوليتها أو يحاول التحقق منها، كذلك فإن الإنسان تحت الضغط النفسي ومع الأحداث ذات الأهمية الشخصية كثيرا ما يندفع بقوة نحو التفسيرات السحرية أو الخرافية، ولعل هذا القدر اليسير الشائع

من التفكير الخرافي أو السحري بقدر ما يتداخل في حياة الناس إلا أنه لا يتسبب في شلل نشاط أي من أنشطتهم، ولا أحد تقريبا إلا ويجد في حياته مواقف أو أحداث لا يستطيع التفكير المنطقي أو العقلاني تفسيرها.

يرى الفيلسوف أوغست كونت **A.Comte** أن تفكير الإنسانية قد مرّ بحالات ثلاث:

أ) **الحالة اللاهوتية**: التي طلب فيها الفكر طبيعة الكائنات والأسباب الأولى والغائية لجميع ما يحدث له، و سعى إلى الحصول على المعارف المطلقةِ . فكان يتمثل الحوادث كما لو كانت نتيجة لعمل مباشر و مستمر تقوم به ذوات مفارقة للطبيعة، متراوحة العدد يفسّر تدخلها التحكمي جميع المفارقات الظاهرية في الكونِ.

ب) **الحالة الميتافيزيقية**: التي تستبدل فيها الذوات المفارقة للطبيعة بقوى غيبية محايثة لمختلف الكائنات و قادرة على أن تحدث بنفسها جميع الظواهر الملاحظة التي تُفسّر بها. فالحجر يسقط مثلاً بقوّة الثقل أو الجاذبية أو المكان الطبيعي الخ...

ج) **الحالة الوضعية:** التي يعرف بها الفكر استحالة الوصول غلى المعارف المطلقة. فيتخلى عن طلب أصل و مصير الكون وعن معرفة الأسباب الحميمة التي تنشأ عنها الظواهر، ليهتمّ فقط بالوقوف على قوانينها عن طريق المزاوجة بين الإستدلال والملاحظة، أي على علاقتها الثابتة في التعاقب و التشابه.

❖ **التفكير العلمي:**

خلافا للتفكير الشائع عرف الإنسان التفكير الناضج في صورته العلمية حيث الإبداع والايجابية الهادفة.

- **نشأة التفكير العلمي** :إن المعرفةَ الساذجة التي نجدها عند الطفل و عند الجاهلِ بصفةٍ عامةٍ قد تتجاوز أحيانا مستوى النظرةِ الجزئيةِ لتسلكَ الحوادث الجزئية في مفهومٍ عام. فتُفسّر سقوط جميع الأجسامِ بقوة الثقل أو الجاذبيةِ كما تُفسّر طفوها بالخفة. أي أنها تعمد إلى مفاهيم عامة ربما كانت مجرد ألفاظٍ، ولكنها مع ذلك محاولة لتفسير الحوادث

تفسيراً خاضعاً لتأثير الأوضاع الاجتماعية ومتجهاً نحو التطبيق الذي تقتضيه الحياة اليومية. لكنّ هذا التطبيق لا يتمّ إلاّ بالاتصال بالواقع و التكيّفِ معه. و هذا أمرٌ يتطلب مجاوزة الإنطباعات الذاتية إلى الأشياء في ذاتها كما هي في الواقع. وعندئذٍ تصبح النظرة موضوعية إلى حدٍّ كبيرٍ. فتتجلى الحوادث إذ ذاك مرتبطة بعضها ببعضٍ وذات علاقات تجمع ما بينها، علاقاتٌ ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الحوادث الجزئيةِ متى اتحدت شروطها مما يمكن معه التعميم الذي بدونه لا يمكن التنبؤ، أي توقع الحوادث في المستقبل على غرار ما حدث في الماضي وفقاً لشروطٍ معيّنة. وهكذا يتمّ الانتقال من التفكير الساذج إلى التفكير العلمي. حيث المعرفة العلمية تتميز بمجموعة من الخصائص.

خصاص المعرفة العلمية:

1- **المعرفة العلمية عميقة**: أهم ميزة للمعرفة العلمية، أنها عميقة، لا يكتفي فيها العالم بالواقع العفوي كما يبدو في الشعور المباشر، بل يبني الوقائع ويجعلها قابلة للدراسة العلمية، تكتسب المعرفة العلمية عمقها من كونها مقصودة ومبينة عكس المعرفة العامية التي تعد عفوية تلقائية تأتي استجابة للواقع المباشر، وكون المعرفة العلمية عميقة مبنية، منظمة فهي تخالف وتناقض المعرفة العامية، التي تنقل لنا الأرض بوصفها مستوية، ساكنة.

2- **معرفة العلمية موضوعية**: يقصد بالموضوعية تناول الظواهر كما هي في الواقع بعيدا عن أي اعتبار ذاتي سواء كان ميلا أو رغبة أو هوى في النفس أو كان إسقاطا لاعتقاد أو تخمين مسبق أو ثقافية شخصية، معنى ذلك أن المعرفة العلمية لم تعد علمية إلا أنها موضوعية،يتخلص فيها العالم من كل الأحكام المسبقة خلافا للمعرفة العامية التي تتميز أساسا بأنها ذاتية نفعية تترجم ميولنا واهتماماتنا، فالتصنيف الذي ينظر إلى الكائنات الحيوانية من جهة

أنها نافعة أو ضارة يترجم تماما هذه النظرة الذاتية بينما التصنيف العلمي يقوم على صفات موضوعية كشكل الجسم.

3- **المعرفة العلمية كمية:** لم تكتسب المعرفة العلمية طابعها العلمي، إلا حينما اعتمدت على التكميم، وعليه يقال "أن تقدم العلم هو تقدم القياس" لقد مر بنا كيف أن ترتيب العلوم من حيث الدقة يخضع لمدى اعتمادها على الرياضيات، بينما المعرفة العامية، معرفة كيفية يقنع فيها الرجل العادي بالوصف الكيفي، فالماء كيف على لسان شاربه أو كيف عند لامسه.

4- **المعرفة العلمية كلية:** أهم ميزة للمعرفة العلمية هي كونها تصاغ في شكل قوانين عامة، فالقول أن الماء سائل يتركب من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين لا يقتصر على العينة التي كانت موضع دراسة وتحليل بل تشمل كل المياه، في الماضي والحاضر والمستقبل، بينما المعرفة العامية أشتات من الخبرات لا رابط بينها، وهذا يعود أصلا لأنها نفعية فمعرفة الفلاح لسقوط المطر مرتبطة بوصفه خيرا عميما وهو ليس نفس الحكم في موقع آخر كوقت جني بعض والخلاصة من التمييز

السابق نصل إلى أن المعرفة العلمية ضرب من التفكير يتناول ظواهر الواقع وفق منهج صارم ودقيق يهدف إلى كشف القوانين الدقيقة والموضوعية والكلية التي تحكم الظواهر.

ميادين الفكر:

يتجلى الفكر في ميادين مختلفة، ومن أهمها:

- **الفكر في المجال العلمي:**

يعتبر المجال العلمي أخصب المجالات التي يتجلى فيها التفكير ويسمى التفكير في هذا الميدان بالتفكير العلمي وتكمن أهمية التفكير العلمي في نتائجه وثماره، وتتجلى في خصائصه وميزاته، وتنبثق من منهجه وآليته؛ فهو يؤدي إلى الوصول إلى الحل المناسب لمشكلة حياتية ـ في الوقت الملائم وبتكلفة أقل. ويمتاز بأنه:

1- تفكير واضح المنهج، مترابط الخطوات.

2- تفكير موضوعي.

3- تفكير منطقي.

4- تفكير هادف.

و الإنسان من خلال صراعه مع الأحداث حوله يستهدف السيطرة على هذه الأحداث والظواهر بدلاً من سيطرتها عليه، وهذا ما نسميه بالطريقة العلمية في التفكير .ويعرف العلم بأنه نشاط يهدف به الإنسان إلى زيادة قدرته على السيطرة على الطبيعة. ويعرفه كروثر بأنه نظام سيطر به الإنسان على الطبيعة. ويعرفه جوليان هكسلي : العلم عبارة عن نشاط نحصل به على قدر كبير من المعرفة بحقائق الطبيعة . و العلوم الطبيعية بشكلها الحديث لم تظهر ألا في القرن السابع وتقدمت على يد بيكون. ولا يمكن أن نصل إلى نتائج مقننة في العلوم الإنسانية ألا عن طريق التفكير العلمي.

أهداف العلم:

يستهدف العلم تحقيق عدة أهداف يجملها العلماء في أربع وهي:

- **الفهم :** من أهداف العلم الكشف عن العلاقات بين الظواهر، والكشف والفهم شيء واحد أي أن فهم الظاهرة يعني البحث

عن علاقتها بظاهرة أخرى . فلا يتم معرفة شيء إلا من خلال فهم الظروف والعوامل المحيطة بذلك الشيء أو تلك الظاهرة، بمعنى أن الفهم ليس وصف الظاهرة أو الانفعال بها والتعجب منها .

التنبؤ: التنبؤ مبني على الفهم، وعند فهم الظاهرة فهما مبدئيا لا نقف عند هذا الحد و إنما نحاول الاستفادة من نتائج الفهم في مواقف مختلفة أخرى. و التنبؤ يساعد على الفهم . وإذا صح التنبؤ صحت المعلومات المبني عليها والعكس صحيح . وفي التنبؤ نقيم علاقات جديدة لم تكن في الحسبان تؤثر في النتائج، وغالبا تنبؤات العالم وما يحدث فعلا متقاربة، أي أن التنبؤ افتراض علاقة جديدة لا نستطيع التأكد من صحتها من خلال معلوماتنا السابقة فقط.. والثانية التحقق من التنبؤ من خلال التجريب . وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تعطي الفرصة للباحثين والعلماء من التوصل إلى هذه النتائج.

التحكم :

هو الهدف النهائي للعلم، بحيث يسعى الإنسان إلى التحكم في هذه الظاهرة من خلال الهدفين السابقين نصل إلى هذا الهدف، وكلما كان تنبؤنا مركز زاد تحكمنا في الظاهرة، كذلك تلك الظروف المؤثرة في الظاهرة، وهذا يؤكد العلاقة الوثيقة بين الفهم والتحكم تلك هي أهداف العلم الثلاثة، وأي تفسير لا يسمح بتحقيق هذه الأهداف لا يعتبر علمياً .

الفكر في المجال الفلسفي:

في مجال الفلسفة يتضح التفكير عبر كل مراحل الفكر الإنساني ولم يبدأ الفكر عند اليونان كما يعتقد البعض و لم ينته هناك فالحضارة اليونانية القديمة هي جزء من كل لا يمكن أن نفصلها عما قبلها أو نرجع تطور ما بعدها و نقصره عليها وحدها و الفكر مر في تطوره قبل اليونان بمراحل عدة و مر بعدها بمراحل أكثر و لا يزال يتطور فالجمود صفة لا يعرفها الفكر فلا يمكن

لحضارة أن تتعلم الطيران قبل أن تتعلم المشي أولا و كل حضارة تسلم قبل ضمورها مفاتيح العالم إلى الحضارة الأخرى فالحضارات تتفاعل مع بعضها وتتداخل بموضوعاتها ومضامينها. وقد نشأت الفلسفة عند الطبيعيين والأوائل قبل سقراط.

إن ميلاد الفلسفة وبعدها الفكر الاجتماعي عند اليونان تم في شروط خاصة و على أرضية اجتماعية و ثقافية ميزت بشكل خاص المجتمع اليوناني و في هذا الإطار ظهرت الفلسفة باستعمالها لعبارات و مفاهيم مجردة، مختلفة كل الاختلاف عن ما هو وارد في الأسطورة فتبين أن بين الأسطورة والفلسفة، أو بين الميتوس واللوغوس اختلافا و تقابلا على مستوى الشكل والمضمون، فعلى المستوى الأول ظهرت الأسطورة كخطاب يقوم على السرد والحكي، أما على المستوى الثاني فهي تحكي وقائع تتعلق بالآلهة وصراعاتهم. أما بالنسبة للفلسفة فهي على مستوى الشكل تقوم على البرهان و الحجة، و على مستوى المضمون فهي تتعامل مع المفاهيم والقضايا الاجتماعية والهموم الإنسانية على اختلافها .

وكان اهتمامهم الأول بطبيعة الكون و مصدره، أصل الحقيقة والواقع. ولعل أهميتهم تكمن في أنهم ابتدعوا طرق التفكير وبحثوا في كل المسائل و طريقتهم في البحث و منهجيتهم لو صح القول هي الأساس و التراث و المنهل الذي اعتمد عليه من جاء بعدهم ولعل الفكر الاجتماعي لم يدخل ضمن حسابات تلك الفترة ولكن من المؤكد أن المنهجية التي اتبعت في التفكر في أصل الأشياء هي نفسها المنهجية التي اتبعت في الفكر الاجتماعي ومنبعها و أصلها واحد.

السوفسطائيون:

لقد ارتبط مفهوم السفسطة بالحركة السوفسطائية وهي حركة فكرية واجتماعية نشأت وترعرعت في اليونان القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، لم يكن هدفهم الكشف عن حقيقة موضوعية، أو إقامة معايير موضوعية تقوم على أساس حقيقة ضرورية. لقد توصلوا من خلال عملهم كأساتذة جوالين ينتقلون من مدينة إلى أخرى، يعلّمون ويجمعون الملاحظات والوقائع الجزئية

حول اختلاف الآراء والمعتقدات، إلى نتيجة مفادها " أنه من المستحيل أن تكون لديك معرفة يقينية "، أي لا توجد حقيقة ثابتة، وكل حقيقة هي نسبية، ما دام" الإنسان مقياس الأشياء جميعا، وهذه أشهر عبارة نسبت إلى مؤسس الحركة السوفسطائية بروتاغوراس(و481 ق.م).و لعل أهم ما جاءت به السفطسة في الفكر الفلسفي أن أفكارهم حولت الانتباه من الطبيعة التي استحوذت على فكر و جهد من قبلهم إلى الإنسان و المجتمع والأعراف فأصبح في قلب اهتمامهم كما لعبوا دوراً أساسياً في نشر التعليم بمختلف أشكاله من نحو و شعر و تعليم و فلسفة.

ومن الآراء الجديدة التي طرحوها فكرة المساواة بين البشر و الدعوة إلى القانون الطبيعي بمقابل القانون الأثيني الذي يقسم العامة لنبلاء و عبيد.

 سقراط:

سقراط (469 ـ 399 ق.م فيلسوف كبير جعلت منه حياته وآراؤه وطريقة موته الشجاعة، أحد أشهر الشخصيات التي نالت

الإعجاب في تاريخ البشرية وُلد سقراط وعاش في أثينا .وكان ملبسه بسيطًا. وعُرف عنه تواضعه في المأكل والمشرب. وتزوج من زانْثِب التي كانت حادة الطبع ويصعب العيش معها. وقد أنجبت له طفلين على الأقل.

كان سقراط يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب مستخدما معهم طريقة توليد أجوبتهم بأنفسهم . وكان أسلوب تدريسه يعتمد على توجيه أسئلة إلى مستمعيه، ثم يُبين لهم مدى عدم كفاية أجوبتهم .قُدِّمَ سقراط للمحاكمة وُوجهت إليه تهمة إفساد الشباب والإساءة إلى التقاليد. وقد قضت هيئة المحلَّفين بثبوت التهمة على سقراط وأصدرت حكمها عليه بالإعدام.. وكان سقراط يؤمن بأن الأسلوب السليم لاكتشاف الخصائص العامة هو الطريقة الاستقرائية المسماة بالجدلية؛ أي مناقشة الحقائق الخاصة للوصول إلى فكرة عامة. وقد أخذت هذه العملية شكل الحوار الجدلي الذي عرف فيما بعد باسم الطريقة السقراطية وقد وضع الأسس لتعاليم أخلاقية جذرية في مواجهة هذا الوضع، وإن السؤال الذي أراد سقراط أن يطرحه و بطرحه يفتح الباب

للإجابة عليه هو: هناك الكمال في كل شيء وخاصة في كل عمل " فما هي مقاييس الكمال و ما هـي قوانينـه وتقاليـده ؟ "، وهنـا تظهـر أمامنـا كلمـة السر الشـهيرة المتمثلة بمبدأ "أعرف نفسك "

وحوكم سقراط بالتهمة التالية: "إنكار مبادئ وحدة أثينا العظيمة وإنكار وجـود الآلهة التي تحمي هذه المبادئ"، وأمام ذلك اتخذ سقراط موقفاً وأعطـى جوابـاً لا مثيل له، ولا يمكن للذاكرة البشرية أن تنساها، فقد قبل إطاعة القوانين كنوع مـن الفضيلة، وعاش حسب مبدأ الفضيلة، وعندما عرض عليـه تلامذتـه فكـرة الهـروب من السجن، اعتبر ذلك منافياً لمبدأ الفضيلة ويرفضه، ويتجـرع كـأس السـم بكـل شرف وتتصدر شهادته المرتبة الأولى في قائمة الخالدين.

أفلاطون:

فيلسوف يوناني، عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات.

الطريقة الفلسفية عند أفلاطون فكانت تبدأ من الأفكار و المثل لتنزل بعد ذلك إلى تمثلات الأفكار و تطبيقاتها على أرض الواقع كتب أفلاطون كتابه"الدولة" من أجل خلق النموذج الذي ينقذ دولة أثينا اعتمادا على مصطلحات "الصحيح، الجيد، الجمال" التزاما منه بذكرى معلمه سقراط، والمثالية هي الأساس في عالم أفلاطون، وأما العالم المادي فهو عبارة عن ذكرى ضعيفة لعالم المثاليات، فالجوهر يأتي أولاً أي توجد المثالية، ثم يجري التركيز لتكوين أنواع الماديات، ولا يمكن التفكير بوجود المادة بمفردها. هذا هو الشكل الأكثر تطوراً من مفهوم العقل لدى بايرميندیس. ويعد أفلاطون من أعظم فلاسفة المثالية، وله مكانة قريبة من النبوة، وهو فيلسوف المجتمع الطبقي، ولا يفكر بالمساواة بين كل البشر، ويفكر في الحضارة العبودية على أنها طبيعية ونظام مستمر، ودولة أثينا تشكل مثالاً قوياً لهذا النظام، وهذا التصور يمر في الحوار الذي يسمى المدينة الفاضلة مدينة قوامها العدل و المساواة، قائمة على التناغم والمستندة إلى فصل صارم بين طبقاتها الأساسية الثلاث التي هي: طبقة الفلاسفة أو القادة، وطبقة الجنود، وطبقة الصنَّاع

والتي هي على صورة التوازن القائم بين المكونات الثلاث للنفس الفردية، ويفترض أفلاطون أنه على رأس هذه الدولة يجب وضع أفضل البشر. من هنا تأتي ضرورة تأهيلهم الطويل للوصول إلى الفهم الفلسفي للخير الذي يعكس نور الحقيقة وينير النفس، كما تنير الشمس أشياء عالمنا ذلك لأن الظلم يشوِّه، بشكل أو بآخر، كافة الأشكال الأخرى من الدول، التي يعدِّدها أفلاطون كما يلي: الدولة التيموقراطية (التي يسود فيها الظلم والعنف)، الدولة الأوليغارخية (حيث الطمع الدائم واشتهاء الثروات المادية)، الدولة الديموقراطية (حيث تنفلت الغرائز وتسود ديكتاتورية العوام)، وأخيراً، دولة الاستبداد، حيث يكون الطاغية بنفسه عبداً لغرائزه، وبالتالي غير عادل.

لقد ساهم أفلاطون في الفكر الاجتماعي بوضعه لنموذج خاص به عما يجب أن يكون عليه المجتمع و تسويقه لهذا النموذج و قد ألهمت أفكار أفلاطون العديد من النظريات الاجتماعية والفلسفية.

أرسطو:

أرسطوطاليس فيلسوف يوناني . مؤسس علم المنطق، وصاحب الفضل الأول في دراستنا اليوم للعلوم الطبيعية، والفيزياء الحديثة. أفكاره حول (الميتافيزيقيا) لازالت هي محور النقاش الأول بين النقاشات الفلسفية في مختلف العصور، وهو مبتدع علم الأخلاق الذي لازال من المواضيع التي لم يكف البشر عن مناقشتها مهما تقدمت العصور. ويمتد تأثير أرسطو لأكثر من النظريات الفلسفية، فهو مؤسس علم البيولوجيا (الأحياء) بشهادة داروين نفسه، وهو المرجع الأكبر في هذا المجال . وشعره يعتبر أول أنواع النقد الدرامي في التاريخ، وتأثيره واضح على جميع الأعمال الشعرية الكلاسيكية في الثقافة الغربية وربما غيرها أيضا. ويرجع سبب هذا التأثير إلى أن أعمال أرسطو كانت شاملة، وتحيط بجميع الجوانب الحياتية، وتروق لجميع أنواع البشر والثقافات. ولد أرسطو عام 384 قبل الميلاد في مدينة (ستاغيرا (في شمال اليونان، وكان والده طبيبا مقربا من البلاط المقدوني، وقد حافظ أرسطو وتلاميذه من بعده على

هذا التقارب . وقد كان لوالده تأثير كبير عليه لدخوله مجال التشريح ودراسة الكائنات الحية التي منحته القدرة على دقة الملاحظة والتحليل. وفي عام 367 رحل أرسطو إلى أثينا للالتحاق بمعهد أفلاطون، كطالب في البداية، وكمدرس فيما بعد. وكان أفلاطون قد جمع حوله مجموعة من الرجال المتفوقين في مختلف المجالات العلمية من طب وبيولوجيا ورياضيات وفلك. ولم يكن يجمع بينهم رابط عقائدي سوى رغبتهم في تنظيم المعارف الإنسانية، وإقامتها على قواعد نظرية راسخة، ثم نشرها في مختلف الاتجاهات، وكان هذا هو التوجه المعلن لتعاليم وأعمال أرسطو.َ وكان من برامج معهد أفلاطون أيضا تدريب الشباب للقيام بالمهن السياسية، وتقديم النصائح والمشورة للحكام، ولذا فقد انضم أرسطو عام 347 إلى بلاط الملك هرمياس، ومن ثم، وفي عام 343 دخل في خدمة الملك فيليب الثاني إمبراطور مقدونيا حيث أصبح مؤدبا لابنه الإسكندر الكبير. وبعد سبع سنوات عاد مرة أخرى إلى أثينا ليؤسس مدرسته الخاصة (الليسيوم) أو (المشائية) وسميت كذلك نسبة للممرات أو أماكن المشاة المسقوفة التي كان الطلاب

وأساتذتهم يتحاورون فيها وهم يمشون. وبعد وفاة الإسكندر الكبير، بدأ الشعور بالكراهية يظهر ضد المقدونيين في أثينا، وقد أثر ذلك على نفسية أرسطو، وقد كان من الموالين للمقدونيين، مما جعله يتقاعد، ولم يمهله القدر طويلا حيث توفي بعد اقل من عام من وفاة الإسكندر، فكانت وفاته في عام 322 قبل الميلاد .َ وعلى الرغم من غزارة إنتاج أرسطو الفكري المتمثل في محاضراته وحواراته الكثيرة، إلا انه لم يبق منها إلا النذر اليسير، فقد ضاع معظمها، ولم يبق سوى بعض الأعمال التي كانت تدرس في مدرسته، والتي تم جمعها تحت اسم (المجموعة الأرسطوطالية) بالإضافة إلى نسخة ممزقة من (الدستور الأثيني (الذي وضعه، وعدد من الرسائل والأشعار ومن ضمنها مرثية في أفلاطون.َ وقد قسمت) المجموعة الأرسطوطالية إلى خمسة أجزاء وهي:

1- المنطق .ّ 2 - الطبيعة .َ 3 - ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) .َ 4 - الأخلاق .َ 5 - الخطابة والشعر .َ وبعد موت أرسطو، استمر التقليد الفلسفي الأرسطوطالي سائدا خلال الحقبة الهلنسية، الإغريقية) من خلال المدرسة المشائية التي أسسها، وقد

ساعد ظهور النزعات الانتقائية والكلاسيكية المحدثة خلال القرن الأول قبل الميلاد على تنصيب أرسطو كمرجعية فلسفية وحيدة لجميع الفلاسفة، وخصوصا في المنطق والعلوم الطبيعية . أما في الفترة من القرن الثالث وما تلاه، فقد كانت الفلسفية الاقلوطينية هي السائدة حينذاك، وذلك لأنها ناسبت الحياة الدينية المسيحية التي انتشرت في ذلك العهد . وقد تبنى رجال الدين المسيحيين في عصر الدولة الرومانية والبيزنطية والإسلامية التوجه الأفلاطوني، ونبذوا الفلسفة الأرسطوطالية باعتبارها نوعا من الهرطقة . ومع ذلك فإن الفلسفة النصرانية (الاسكولاستية) في القرون الوسطى في أوربا قد ظهرت وتطورت بفضل استيعاب الفلسفة الأرسطوطالية بالرغم من محاربة رجال الدين، وقد أدى هذا التقارب المشبوه بين النصرانية والأرسطوطالية إلى فقدان الأرسطوطالية لسمعتها الطيبة، إلى أن أعيدت لها تلك السمعة مع بداية القرن التاسع عشر بفضل ظهور الفيلسوف الألماني هيغل الذي أعاد للفلسفة الأرسطوطالية اعتبارها وجعل منها الأساس الذي قامت عليه الفلسفة الحديثة.

يعد أرسطو آخر مبدعي الفكر الفلسفي الكبار في العصر الكلاسيكي لهذا يمكن اعتبار أرسطو محصلة الذهن الإنساني كقوة عامة حتى تلك المرحلة، وإن تسميته بالرمز الذي في ذروة المعرفة والفكر المنسق، يعتبر إحدى نتائج هذه الخاصية، وإن تعبيرها وممارستها المجسدة هي تحقيق الإسكندر الكبير لإمبراطوريته العالمية الكبيرة. وهذا يعني التطبيق الكبير للفكر الكبير، والسلطة الكونية للفكر الكوني.

ولقد استمر الفكر الفلسفي مع المسيحيين والرمان والرواقيين**Stoicism** الذين أسسوا مذهب الشك كنتيجة طبيعية للعصر الذي برز فيه نتيجة للتخبط في الحياة السياسية الذي مرت به الدولة الإغريقية في نهاياتها.

ثم مذهب الابيقورية لصاحبه أبيقور الذي ولد حوالي سنة 341 ق م وتوفٌي حوالي 270 ق م امتد أثر الفلسفة الابيقورية ليصل عهد الرومان، الوريث الشرعي للامبراطورية اليونانية.

تحدّث ابيقور عن طلب السعادة ومن أهم متطلبات الحياة السعيدة عند ابيقور هي الصداقة التي تمثل المبدأ الذي ينظم الحياة والمجتمع، وبهذا المعنى فان الصداقة عند ابيقور تنطوي على إسقاطات سياسية كبيرة. والأخلاق عند ابيقور هي محور الفلسفة وغايتها. وكذالك يبرز في الفكر الفلسفي زينون الكيتيومي(**335-264** ق م)، الذي كان قبرصيًّا، ثم جاء إلى أثينا، حيث تتلمذ على يد فيلسوف صلفي، حتى طفق يعلِّم تلاميذه في ظلِّ ممرٍّ مكشوف مسقوف بعقود على أعمدة (أو رواق)، ما أسمى فلسفته بـ"الرواقية" أو "فلسفة الرواق". ثم تبعه كليانثوس (331-232 ق م)، الذي كتب نشيدًا إلى زيوس. ثم أتى بعد ذلك، وبشكل خاص، تلميذه كريسيبوس **280-204**)ق م)، الذي وضع منظومة العقيدة والذي يمكن اعتباره بحق الأب الثاني للرواقية.

وقـدر لمبـادئ الفلســفة الرواقيــة أن تلعــب دورا ذا شــان في مســار الفكـر السـياسي وتطـوره في فـترات لاحقـة، ويـذهب رواد ئالمدرسة الرواقية إلى الاعتقاد بأن الغرض مـن الحيـاة هـو تحقيـق

سعادة الفرد ومفهوم السعادة لديهم لا يتمثل في إشباع الرغبات المطلقة كما يذهب غيرهم، وإنما السعادة عندهم تتمثل في كبت الانفعالات العاطفية وإخضاع الرغبات غير الأخلاقية لحكم العقل وينادي الرواقيون بالمساواة التامة بين بني البشر فهم جميعا يخضعون للقانون الطبيعي الواحد قبل ظهور مجتمع الدولة والبشر يعيشون جميعا كأخوة متساوون في مدينة عالمية أشبه بالعائلة الواحدة الكبيرة و لعل المساهمة الفكرية للرواقيين تظهر في اهتمامهم بالفرد وبحثهم في طرق الوصول به إحالة الرضى الاجتماعي التي يشعر بها و يطلق عليها الإنسان السعادة.

- **الفكر في المجال الديني:**

ويقصد به التفكير في مختلف القضايا الدينية المختلفة كمجال العقائد والمعاملات والسير والفقه والتصوف.

- **الفكر المسيحي**

بعد انتقال المسيحية إلى الغرب أصبحت ديانة الإمبراطورية الرومانية، ولكنها تحولت عن جوهرها الحقيقي، فتطبعت بالطابع المادي للحضارة اليونانية /الرومانية.

ومثل ما قيل تاريخيا انه لم تتنصر روما، ولكن المسيحية هي التي ترومت، وما كان لها أن تعيش في الغرب لولا ما ساندها من القوانين الرومانية، والأنظمة التي فرضتها ليعيش الناس تحت لوائها. ما ان اكتشف الأباطرة ما بيديهم من سلطة الكنيسة لم يتوانوا عن استخدامها لذا لم يتوانى قسطنطين عن الاعتراف بالمسيحية دين ضمن الإمبراطورية و ما تلاه من كون الإمبراطورية ضمن المسيحية.

و يمكن إيجاز مراحل تطور الفكر الاجتماعي المسيحي كالتالي

- نهاية عصر الفلسفة اليونانية وبداية الفكر اللاهوتي المسيحي في العصور الوسطى.

- عصر الآباء اوغسطين و آخرين عصر الفلسفة المدرسية (توما الاكويني وآخرين).

- **اوغسطين:**

هو فيلسوف وقديس وهو أحد أهم آباء الكنيسة ومعلّميها ولد بمدينة تاغست وهي مدينة جزائرية تسمى اليوم سوق أهراس، في عام 389 تفرَّغ للدرس والتأمل. وفي عام 397 أصبح أسقفاً على مدينة هيبون، عنابة حاليا في زمن كانت فيه الفوضى السياسية، والمنازعات اللاهوتية حيث كان البرابرة يهدّدون حدود الإمبراطورية، وكانت الكنيسة مهدّدة بالانقسام بسبب كثرة البدع جاهد أغسطينوس بكل قواه لمحاربة المانوية ، وحاول أغسطينوس أنه يوجد حل وسط بين البيلاجية والمانوية فأكد وجود الخطيئة في الإنسان، وضرورة تدخُّل نعمة اللـه من أجل الخلاص، لكنه لم ينفِ دور إرادة الإنسان الحرَّة في قبول النعمة.

من أعماله العديدة نذكر أهمها:

اعترافات: وهي عبارة عن مذكرات شخصية بها أفكار فلسفية. يرسم فيها أغسطينوس الطريق العقلاني الذي يقود الإنسان إلى الاعتراف بالحقيقة الحاضرة في أعماق كيانهِ، هذه الحقيقة هي اللـه ذاته.

ـ مدينة اللـه (412 ـ 426): أحد أهم المؤلفات في تاريخ الفلسفة المسيحية؛ وهو عبارة عن مؤلَّف دفاعي، يقارن بين الحضارة المسيحية، و الوثنية وقد كتب أغسطينوس في هذا المؤلَّف نظرتهُ اللاهوتية إلى تطور الحضارة الإنسانيةالتي يعتبرها" التحقيق في الزمن لمخطط العناية الإلهية". يضم هذا العمل 22 كتاب: العشرة الأولى هي نقد لتعدُّد الآلهة، أما الباقي فيبحث في نشوء وتطور الكنيسة. و يمكن اعتبار المساهمة للقديس اغسطينوس في الفكر الاجتماعي الإنساني في نقطتين:

- التنظير الميتافيزيقي في مجال الوجود والنفس والمعرفة.

- التنظير السياسي في مجال دولة اللـه فلسفة التاريخ.

أي بدأ البناء العقائدي للشخصية المسيحية و تنقيتها من شوائب الوثنية بناء العقيدة على أسس عقلية مقدما ًلها تبريراً فلسفياً الحقه بتأمل سياسي اقرب ما يكون لفلسفة التاريخ من خلال (نظرية العناية الإلهية)، إذ تشير نظرية العناية الإلهية إلى إن التاريخ مسرحية ألفها اللـه ويمثلها الإنسان.

توما الاكويني:

توما الاكويني وهو من أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحي إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق، كان "الأكويني" من شراح "أرسطو" وقد تأثر إلى حد كبير بآراء ابن رشد في مسألة ترتيب العلاقة بين الدين والفلسفة فضلا عن أخذه برأيه في مسألة العقل والنفس، كما هو معروف عند المختصين. وما يهمنا إبرازه هنا هو أن "الأكويني "تبنى وجهة النظر "الأرسطية" في أصل

الاجتماع ومنشأ الدولة فقرر أن الاجتماع الإنساني أمر طبيعي كاجتماع النمل والنحل، مع هذا الفارق وهو أن الاجتماع الحيواني يخضع للغريزة، أما الاجتماع الإنساني فيقوم على الإرادة ويدبره العقل، وبالتالي فهو اجتماع تعاقد لا اجتماع فطرة وغريزة (ساهم في تغذية نظرية العقد الاجتماعي).

الفكر الإسلامي:

- **مفهوم الفكر الإسلامي:** ويقصد به الفكر الذي ينطلق من رؤية إسلامية بغض النظر عن الاختلاف المذهبي بين المسلمين وكل صيغ الفكر التي تعبر عنه رؤية إسلامية كالفكر المعتزلي والأشعري والماتريدي الخ.

وكما تعدَّدت تعريفات الفكر لغةً واصطِلاحًا، فإنَّ الفِكْر الإسلامي هو الآخر عرف تعريفات عدَّة، نذكر من بينها:

الفكر الإسلامي يعني: "كلّ ما أنتجه فِكْر المسلمين منذ مبعث الرَّسول - صلَّى اللـه عليه وسلَّم - إلى اليوم في المعارف الكونيَّة المتصلة باللـه - سبحانه وتعالى - والعالم والإنسان، والَّذي يعبّر عن اجتهادات العقْل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامَّة في إطار المبادئ الإسلاميَّة، عقيدة وشريعة وسلوكًا"[1]

الفكر الإسلامي يعني: "كلّ ما ألَّفه علماء المسلمين في شتَّى العلوم الشَّرعيَّة وغير الشَّرعيَّة، بغضِّ النَّظر عن الحكم على مدى ارتِباط هذا النِّتاج الفكْري بأصل العقيدة الإسلاميَّة"[2].

الفكر الإسلامي يعني: "نتاج الفكْر الَّذي تصدَّى للفلْسفات والنَّظريَّات الغربيَّة، ناقدًا لها وواضعًا البديل الإسلامي محلَّها"[3].

الفكر الإسلامي يعني: "كلّ نتاج للعقْل البشري الموافق لمنهج الإسلام"[4].

---

[1] - محسن عبدالحميد: تجديد الفكر الإسلامي، ص18.

[2] - السيد محمد الشَّاهد: رحلة الفكر الإسلامي من التأثُّر إلى التَّأزُّم، ص63.

[3] مصطفى حلمي: الفكْر الإسلامي في مواجهة الغزْو الثقافي، ص46.

[4] - محمد عبداللـه عرفة: مقومات الفكر الإسلامي (إملاءات) لطلاب المستوى السَّادس، قسم الشَّريعة، ص1.

الفكر الإسلامي يعني: "المنهج الَّذي يفكِّر به المسلمون أو الَّذي ينبغي أن يفكِّروا به"[1].

- **وسائل المعرفة في الفكر الإسلامي:**

إذا نظرْنا في الفكر الإسلامي فسنجد أنَّ المعرفة تنفتح على مجالَين واسعَين، هما عالم الغيب وعالم الشهادة، عكس الفكْر الغربي الَّذي يقتصر على الجانب المادّي من عالم الشهادة، وهو ما بيَّنه تعالى في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 7]، وبالنَّظر إلى هذَين المجالين المتداخِلين يتوسَّل الفكر الإسلامي إلى المعرفة بثلاث وسائل تتساوى في الأهمّيَّة، وهي: العقل والقلْب والحواسّ.

العقل: اختلف العُلماء والمفكِّرون في تعْريف العقل؛ فمنهم مَن أنكر وجود شيء مستقلّ بهذا الاسم، ومنهم من أسْهب في الحديث عنه بطريقةٍ تبيّن حدوده، وقسَّمه إلى أقسام عدَّة، وبيَّن وظيفة كل ّقسم، غير أنَّنا إذا عُدنا إلى القرآن الكريم فلن نجد

[1] - عبدالمجيد النجَّار: دور حرّيَّة الرَّأي في الوحدة الفكريَّة بين المسلمين، ص29

كلِمة "عقل" كمصدْر، وإنَّما جاءتْ في صيَغ فعليَّة متعدِّدة، مثل: "تعقلون"، و "يعقلون"، و "عقلوه"، و "يعقلها"، و "نعقل"، وهو ما يدلُّ على أنَّ العقل ليس مصدرًا قائمًا بذاتِه، وإنَّما هو عمليَّة تعقُّل يقوم بها الإنسان؛ ليربط بين الدَّالّ والمدْلول، والأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، وغيرها من العمليات الوظيفية في الأشياء المجرَّدة منها والمحسوسة للوصول إلى فكرٍ يسير به في حياته، ويسيِّر به شؤونه.

فالعقل - إذًا - وسيلة أو آليَّة في إنتاج الفكْر عمومًا، وفي الفكر الإسلامي العقْل وسيلة للتدبُّر في الوحي لاستِخْلاص مقاصده وعلومه، والتَّأمّل في الكون لمعرفة قوانينه ونواميسه، فعمل العقل وفق هذا المنظور يكون في مجْمله في الأمور المجرَّدة.

القلب: لا يقصد بالقلب هنا ذلك العضو الحيّ الذي يقع في الجانب الأيسر من القفص الصَّدري، والَّذي يقوم بضخّ الدَّم في جسم الإنسان، وإنَّما هو تلك اللَّطيفة الربَّانيَّة - حسب تعبير الغزالي أبي حامد - التي يشْعر بها الإنسان، وهو محلّ التصديق

والإيمان، وعلى اعتبار أنَّ الفكر الإسلامي ينفتح على عالم الغيب، بل إنَّ اعتبار الوحي والكون كمصدرين له ينبني على التَّصديق بالغيب والإيمان به، وهو توحيد اللـه باعتباره منزل الوحي وخالق الكون، وذلك لا يكون إلاَّ بالقلب محلّ التَّصديق والإيمان؛ لذا نجد المولى - عزَّ وجلَّ - يُسْبِق لفظ الغيب بالإيمان ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: 3]؛ فالقلب - إذًا - هو وسيلة من وسائل الإدراك والمعرفة في الفكر الإسلامي، وهو من الأهمّيَّة بمكان حيثُ لا يمكن استبداله بالعقْل ولا بغيره، فعمل القلْب وفقًا لهذا يكون في الأمور الوجدانيَّة.

الحواس: وهي جمع حاسة، وهي الوسائل التي ندرك بها الأمور المادّيَّة، كالأذن التي تقوم بوظيفة السَّمع، والعين التي تقوم بوظيفة البصَر، والأنف الَّذي يقوم بوظيفة الشَّمّ، وغيرها من الحواسّ التي نتواصل بها مع عالمِنا الخارجي.

وقد بيَّن المولى - عزَّ وجلَّ - هذه الوسائل في كتابه قائلاً: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: 36]، فالسَّمع والبصر (الحواسّ)، والفؤاد (القلب والعقل)، هي وسائل العلم والمعرفة.

فروع الفكر:

تتعدد فروع الفكر بتعدد الاختصاص، فيقال الفكر السياسي والفكر الاقتصادي والفكر الاجتماعي، وهكذا دواليك.

- **الفكر السياسي:**

الفكر السياسي ـ هو مجموعة من الأفكار والعقائد التي تطرح وبطريقة عقلائية ومنطقية مع الاستدلال في كيفية بناء الحياة السياسية أو وصفها وبيانها، والفكر السياسي لشخص هي تمثل استطاعته في بيان آرائه وعقائده بصورة عقلائية مع الاستدلال المنطقي . والهدف من الفكر السياسي ليس توضيحاً علمياً فقط بل هو تغيير للواقع مع التأييد أو المخالفة الأخلاقية له، وفي الواقع إن الهدف من الفكر السياسي هو إيجاد الطرق الجيدة واللائقة للعمل السياسي وإدارة المجتمع.

الأصول القديمة للفكر السياسي:

لقد كان اهتمام القدماء بالفكر السياسي من خلال اهتمامهم بالمواطن و الدولة المدينة و نظمها الخاصة في الحكم والتشريع والجيش والمجموعة البشرية،و حتى التنظيم الاقتصادي،على الرغم ان المدينة الإغريقية كانت عبارة عن دول صغيرة مشكلة من مدينة ومناطق ريفية محيطة بها وتختلف المدن الأثينية من حيث نمط الحكم وطبيعة الحياة السياسية.

النظام الإسبارتي: أما أثينا فهي دولة مدينة مثلها مثل اسبارتا لكن مختلفة سياسيا واقتصاديا حيث عرفت عدة أنواع للحكم من نظام ملكي ثم أرسطوقراطي فلطغياني ديمقراطي ليأتي العهد الفوضوي.

ومن بين أشكال الحكم التي سادت الحكم نجد:

1- **الملكيـــة**: هي حكومة الفرد الواحد.

2- **الأوليقارشية**: هي حكومة الجماعة أو المجموعة أو الأقلية.

3- **الديمقراطية**: وهي حكومة الجميع أو المواطنين أو الكل بالنسبة للديمقراطية الأثينية عرفت ميلادها في القرن 5 ق.م على يد حركة إصلاحية أخذت على عاتقها ضرورة النهوض بأثينا استجابة للمطالب الشعبية، وبهذا دخلت أثينا عهدا جديدا سمح لها ببعث الديمقراطية كأسلوب للحكم تحت دفع مجموعة من الحكام، وترجع جذور الديمقراطية الأثينية إلى رغبة الحكام الفعلية إلى إشراك المواطن الأثيني في الحياة السياسية،حول القضايا المهمة انطلاقا من فكرة فحواها أن الحياة في المدينة يشترك فيها الجميع،وأي حدث خارجي له من الأثر ما قد يخل بالنظام العام ومن ثم مستقبل المدينة وعليه فأن أهم القواعد التي يقوم عليها النظام الأثيني أن سلطة التقرير النهائي بيد المواطن،وتماشيا مع هذا الوضع أرسيت قواعد نظام يرتكز على مجموعة من المؤسسات.

1. المؤسسات التشريعية:

A. الإكليـــزيا: (مجلس الشعب -الجماعة العامة) هو سلطة تقريرية، وهيئة تجمع كل المواطنين على اختلاف وضعهم الاجتماعي.

مهامـــه: انتخاب القادة العشرة العسكريين ومراقبتهم كما ينتخب حكام المدنية التسعة ويراقبهم ويحاكم في حالة الخيانة العظمى ضد الدولة.

B. مجلس النـواب : (مجلس 500-المجلس المحدد) يتكون من 500 عضو كل قبيلة يمثلها 50 عضو يتجاوزون 30 سنة، يتم اختيارهم بواسطة القرعة وهو هيئة تحضيرية لمشاريع الأعمال التي تقدم للإكليزا.

2. المؤسسات التنفيذيـــــة:

- مجلس القادة العشرة.
- حكام المدينة الأراخنة.
- الموظفون، القضاة، الإداريون.

3. المؤسسات القضائيـة:

- **المحكمة العامــة:**
- **محكمة الأشراف:**

الفكر السياسي عند سقراط: في الحقيقة أن سـقراط لم يخلـف كتـب نسـتطيع من خلالها الخروج بمجموعـة مـن الأفكـار السياسـية،لكن خلـف تلاميـذ نقلـوا أفكاره إما في مؤلفاتهم أو بإسنادها له، كما يمكن تحديـد أفكـاره عـبر المواقـف السياسية التـي تبناهـا في الدولـة المدينـة، ويلاحـظ مـن هـذه المواقـف رفـض سـقراط التحـرر مـن القـوانين أو محاولـة التغيـير فيهـا كـما يعـارض فكـرة الديمقراطيـة التـي فتحـت البـاب للحـديث عـن كـل شيء ورفعـت مـن قيمـة بعض الطبقـات داخـل المدنيـة، ويعـبر سـقراط عـن اخـتلاف كبـير بينـه وبـين

معاصريه من حيث اعتبر القوانين صادرة عن العقل المعبر بشكل من إشكال التربية والفضيلة وسر الثبات في ضل النظم القائمة على التغيير (الديمقراطية).

الحكمة عند سقراط هي أعرف نفسك،وغاية وجودها،وما هي مؤهلاتها وانطلاقا من هذه الفكرة بان الحاكم ربان في المدنية عليه أن يعرف فنه بعمق كما يعرف قائد السفينة فنه ويقضي منه ذلك التعلم حتى يتقنه لان الفن الأكثر صعوبة (لا يأتي بنفسه على غرار الفنون الأخرى) ومن ثم لا أن نختار الحاكم على القرعة فقد يقع الاختيار على اسكافي أو بناء أو حرفي أو صياد ....،وهؤلاء لا يعرفون السياسة، فالحاكم يجب أن يكون فيلسوفا لا تهمه مصلحته الفردية بقدر ما يبحث عن الخير العـام.

- **الفكر السياسي عند أفلاطون:**

تتلخص جميع أفكاره في جعل الفضيلة هي المعرفة أي المعرفة للخير العام ويقوم بذلك الملوك الفلاسفة. يتحدث عن الحاكم الفيلسوف الذي لا يقيده القانون

أما نشأة الدولة عند أفلاطون: يرى أن العدالة يفرضها الأقوياء والعدالة مرتبطة بنشأة الدولة،فظهور الدولة ضرورة ناتجة عن عجز الإنسان وحاجته للآخرين، وعلى هذا النحو سيحدد ظهور الدولة بتقسيم العمل وجبلية كل فرد بناءا علة ذلك يحتاج إلى متخصصين .

- تقسيم طبقات المجتمع :

1- **طبقة العمال:** المنتجين يقومون بسد حاجيات الاستهلاكية.

2- **طبقة الجنود** والحراس: حماية الدولة.

3- **طبقة الحكام** : الإدارة والحكم.

أمـا في العصـور الحديثـة فقـد تبلـور الفكـر السـياسي مـع نيقـولا مكيـافيلي (**Machiavelli**) وهو من عائلة عريقة عام 1469 في مدينة فلورنسا الإيطالية. وخـلال نشأته في هذه المدينـة قُـدر لمكيـافيلي أن يشـهد تحـولات أساسـية في تركيبـة النظـام السياسي في فلورنسا. فقد انتقلت السلطة من عائلـة مـديتشي إلى سـافونارولا[1]، رجـل

[1]- جيرولامو سافونارولا (1452-1498): مصلح إيطالي وواعظ، اتهم بالهرطقة. أصبح حـاكما في فلورنسا، ثم أودع السجن وشنق وأُحرق. يعتبر من أوائل دعاة الإصلاح الديني.

الدين المستبد الذي حكم فلورنسا لمدة ثلاث سنوات سقط على إثرها فاسحا المجال أمام قيام نظام جمهوري دام من عام 1498 حتى عام 1512 حيث عادت أسرة مديتشي للحكم.

تلقي تعليما جيدا بالنسبة لعصره إذ درس القانون والتاريخ[1]، وفي السابعة من عمره بدأ بتعلم اللاتينية[2] وكانت لغة العلم والثقافة آنذاك وفي بداية شبابه أظهر ميكافيلي الميل نحو الثقافتين القديمة والحديث، فقرأ خطب الكاتب والخطيب الروماني المعروف شيشرون (106-43 ق.م.) ودرس مؤلفات أرسطو وتابع باهتمام مؤلفات رائدي النهضة دانتي (1265-1321) وبترارك (1304-1374).

إلا أن مدرسة ميكافيلي الأساسية كانت شوارع مدينة فلورنسا التي منحت العالم ابرز عباقرة النهضة من أمثال دانتي وليوناردو دافنشي وميخائيل آنجيلو وغيرهم.

---

[1] - كان ميكافيلي يبلغ من العمر12 عاما عندما قرأ أول كتاب في التاريخ. وفي وقت مبكر قرأ خطب شيشرون ومؤلفات أرسطو وأفلاطون وغيرهم من الأقدمين.

[2] -R. Ridolfi, The Life of Niccolo Machiavelli, translated from the Italian by G. Grayson, Chicago, 1963, p.3.

تثقف مكيافيلي ثقافة عصره وكانت له صداقات واسعة في أوساط الكتاب والمفكرين، مما سمح له الحصول على ثقافة واسعة في القانون والسياسة والتاريخ والفلسفة. وهذا ما أتاح له الحصول على منصب المستشار العام للدولة في فلورنسا الجمهورية عام 1498 حيث بقي فيه لمدة أربعة عشر عاما أي حتى سقوط العهد الجمهوري فيها عام1512. لقد كان هذا المنصب مهما في حياة مكيافيلي، إذ سُمح له أن يكون على صلة مباشرة بشؤون الدولة السياسية، الداخلية منها والخارجية. إذ كثيراً ما قام مكيافيلي بمهمات دبلوماسية خارج فلورنسا: منها أربع مهمات قام بها عند ملك فرنسا، وواحدة عند إمبراطور ألمانيا، وغيرها عند قيصر بورجيا[1] الذي كان مكيافيلي معجباً به.

هكذا كان مكيافيلي في مركز يؤهله لفهم خفايا سياسات الدول والتعبير عنها في مؤلفاته التي وضعها في التوسكاني بعد نفيه من خدمة آل مديتشي بعد اتهامه بالاشتراك بمؤامرة جمهورية

---

[1] بورجيا (Borgia): أمير ورجل دين إيطالي، من ابرز شخصيات عصر النهضة الإيطالية دخل سلك الكهنوت رغم كرهه للحياة الكنسية. عُرف بالمغامرة والذكاء الخارق، وبأنه الجندي الأقوى والدبلوماسي الماهر، إلى جانب استخفافه بالقيم الخلقية وكثرة رذائله مما دفع بمكيافيلي ان يتخذه نموذجا لكتابه "الأمير".

للإطاحة بالأسرة الحاكمة. فاعتُقل مع المتآمرين، ونُزعت منه المسؤوليات، وأبعد عن وظيفته ليعيش في عزلة قسرية في دار للعائلة لمدة اثني عشر عاما قضاها وهو يأمل العفو عنه والعودة إلى وظيفته ولكن دون جدوى.

وتوفي عام1527 تاركا وراءه إرثا فكريا قيما ما زال يعتبر من أهم ما وُضع في تلك الفترة من الزمن.

- **مؤلفاتـــــــه:**

من أهم المؤلفات التي تركها مكيافيلي كتاب "**الأمير**" الذي وضعه في عام 1513، ويعتبر اصغر مؤلفاته وأشهرها وتلاه كتاب "المطارحات" (1517)، والخطب أي "أحاديث عن كتب تيتوس ليفيوس[1] العشر الأولى" و "فن الحرب" اللذان وضعهما في العام 1521، وأخيرا مؤلفه "تاريخ فلورنسا" الذي تم نشره في عام 1525.

[1]تيتـوس ليفـي (أو ليفيـوس) (Titus Levy) (59 ق.م.-17م.): مـؤرخ رومـاني مشـهور. عُـرف بميوله الجمهورية أثناء الحرب الأهلية.

ومن بين القضايا الأساسية التي طرحها كتاب الأمير علاقة الأخلاق بالسياسة، فقد صرح مكيافيللي بأنه لا يروج لتشييد مدينة فاضلة ولا يبحث عن شروط السعادة في جمهورية محكمة التدبير، وإنما هدفه هو فهم قوانين السلطة والتنظير لها، بمعنى أنه مهمته تدخل في إطار سياسي وليس أخلاقي. منطلقا من مبدأ شهير وهو:"الغاية تبرر الوسيلة[1]" و الغاية في نظره هي مصلحة الوطن الذي يشكل في نفس الوقت حدود الأخلاق. فلا مكان في هذا الوطن للمصالح الذاتية والشؤون العاطفية لأن الدولة هي أعلى من الفرد ومن الجماعة، خصوصا عندما يتعرض الوطن للخطر سواء كان خطرا خارجيا من الدول المجاورة أو من الداخل كالفساد والاضطرابات. من هنا تصبح الهمة الرئيسية للحاكم هي حماية الوطن والمحافظة على استقلاله وأمنه وسلامة الناس وهي الغاية التي لا وجود لغاية بعدها. إذن ليس هناك لقانون أخلاقي في مجال السياسة، لأن هذه الأخيرة هي لعبة يسمح فيها بكل أنواع

[1]- هذا النص لم يقله ميكافيلي أبداً، والأرجح أن المؤرخين والنقاد وضعوا هذا النص كإجمالي لأفكار ميكافيلي، لتقارب هذا النص في فحواه مع مجمل آراءه.

الحيل، كما أن اللاعبين هم الذي يغيرون قواعد اللعبة، حتى تتفق مع أهـدافهم. لكن هذه الدعوة ليست موجهة للأفراد للتحلل من مسـؤولياتهم الأخلاقيـة تجـاه الذات و الغير، بل عن الهدف من كـل ذلـك هـو فصـل الأخـلاق بمـا هـي مبـادئ لسلوك الفرد عن السياسة باعتبارها بحثـا عـن مصـلحة الجماعـة والمحافظـة عـلى الدولة و استمراريتها.

ومن النصائح الهامة التي قدمها للأمير ما يلي:

" أن يحمي نفسه من الكراهية أو قلة الاحترام". يحث ميكافيلي الأمـير (الحـاكم) على خلق إطار من الاحترام له ولمنصـبه، وأن يقـاوم الجهـات أو الأشـخاص الـذين يحاولون إلحاق الضرر بمؤسسة الحكم.

"على الأمير أن لا يظهر نيته أبداً، بل عليه قبل ذلك أن يحاول بكل الوسـائل بلـوغ هدفه".وهذه النصيحة من تدابير الحنكـة في إدارة الأزمـات السياسـية واحـتمالات تصاعدها. يجب أن يبقى سقف القرار السياسي أمراً مجهولاً حتى للعناصر العاملة في الإدارة.

" إن كنــت قويــاً، إذن أبــدأ معركتــك هنــاك حيــث تتمتــع بــالقوة ، حيث بوسعك أن تحتمل الهزيمة. مـن المفضـل للأمـير إدارة المحادثـات

أو العمليات، في اتجاه قطاع أو حقل معين، حيث بوسعه تسجيل النقاط لصالحه، وعندما يجد المرء نفسه في موقف ضعيف، عليه أولاً أن يشخص ويعالج نقاط ضعفه.

"قم بإبادة عدوك بصفة نهائية" يوجه ميكافيلي النصيحة للأمير بإزاحة منافسيه عن طريقه بأسلوب المكائد والدسائس. ومن الأفضل بدرجة كبيرة، هو أن يجهز على خصومه، سياسياً، أو إذا كان بمقدوره أن يسحقه في الميدان فعليه أن لا يتردد وينهي هذه الصفحة لكي يتسنى له التفرغ لمعالجة صفحة أخرى.

"يجب استخدام كل وسائل القوة دفعة واحدة، إذ سيكون لها فيما بعد، تأثير أقل، بل وربما ستنسى، أما الأعمال الطيبة تستخدم تدريجياً وفقط بعد تحقيق التفوق، وبذلك ستنال التقدير". وهو ينصح الأمير أن يستخدم قوته مرة واحدة للإجهاز على المقابل، فاستخدامها التدريجي قد يعرضها للإبادة التدريجية، وفي المفاوضات من أجل خلق موقف قوي لا يملك المقابل سوى التراجع وتقديم التنازلات.

"ليس بوسع المرء تفادي المعركة، إذا كان العدو يسعى لها بإصرار". عندما تكون المعركة هي الحل الأوحد، وشعر الأمير أن المقابل قد وضع المعركة نصب عينيه لا محالة ولا يلوح بصيص تراجع، آنذاك تصبح المعركة أمراً محتوماً، وعلى الأمير أن يضع كل قواه في استقبال المعركة.

- **الفكر الاقتصادي:**

في هذا المجال نتناول تاريخ الفكر الاقتصادي من حيث هو تاريخ لأفكار ساهمت في ظهور النظام الاقتصادي[1] الجديد وفي إرساء فلسفة العولمة .

إذا كان الفكر الاقتصادي الحديث لا ينفصل عن المعالم التي رسمت تاريخيا، في اتجاه بناء فلسفة اقتصادية، فلاشك أن التفكير الاقتصادي قد تطور تاريخيا تبعا لتطور الفكر الإنساني. فقد كان

---

[1] لابد من التفرقة بين مفهوم النظام الاقتصادي، ومفهوم التنظيم الاقتصادي، فالأول هو مجموعة العلاقات والمؤسسات التي تميز الحياة الاقتصادية، لمجتمع معين في الزمان والمكان أما الثاني أي التنظيم الاقتصادي فهو وسيلة يستخدمها النظام الاقتصادي لتنظيم النشاط الاقتصادي، والفعاليات الاقتصادية.

للتمثيل على ذلك:التنظيم الاقتصادي الحر هو وسيلة النظام الاقتصادي الرأسمالي.

والتنظيم الاقتصادي الموجه هو وسيلة النظام الاقتصادي الاشتراكي.

للإغريق و الرومان بعض الإسهامات في بحث المسائل الاقتصادية و إن لم ترق إلى مستوى علم مستقل للاقتصاد،[1] لأن المفكرين الإغريق آنذاك كانوا يهتمون ربما بالمسائل الفلسفية و الاجتماعية و الأخلاقية، و يدرجون المسائل الاقتصادية ضمن هذا الكل. لقد كانت الحياة الاقتصادية والسياسية لدى اليونان مرتبطة تماما بوجود المدينة، باعتبارها وحدة سياسية و اقتصادية، تقوم بالمهام التي تقوم بها الدولة في عصرنا. والمدينة هي:"التنظيم السياسي والاجتماعي الموحد لأرض محدودة، يمكن أن تضم مدينة واحدة أو عدة مدن كما تضم رقعة الريف الذي يرتبط بها."[2]

لقد ظلت الزراعة مهنة اليونان الأولى في مدنهم خلال عدة قرون، إلى أن ظهرت الصناعات الحرفية فيما بعد. ورغم ذلك بقيت الزراعة هي "المهنة الوحيدة المناسبة للمواطن اليوناني."[3] وهذا يدل على أهميتها في حياة اليونانيين، خاصة في عصر سقراط، الذي يروى عنه انه قال بشأن أهمية الزراعة:" سوف تتملكني

---

[1]- لفظة الاقتصاد مأخوذ من اللفظ اليوناني المشتق من لفظين إغريقيين هما إدارة المنزل.

[2] - جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية ، ترجمة ناجي الدراوشة، وزارة الثقافة، دمشق، الجزء الأول،1984 . ص:19.

[3] يوسف جميل نعيسة، "تاريخ الفكر السياسي، جامعة دمشق، مطبعة رياض، دمشق 1982، ص:75

الدهشة والاستغراب إذا علمت أن رجلا ذا أحاسيس حرة قد وجد لونا من ألوان النشاط أكثر جاذبية من الزراعة."[1]

فأفلاطون[2] (428ـ 348 ق،م) في تصوره للمدينة المثالية، نادى بضرورة تقسيم العمل بين قوى الإنتاج في مدينته، واعتبر تطبيق هذا المبدأ مهم جدا داخل المجتمع، لما له من فعالية في رفع مستوى الإنتاج، كما أرجع نشأة المدينة إلى العامل الاقتصادي، بدليل أن الفرد لا يشبع جميع حاجاته إلا بانضمامه إلى مجتمع المدينة،[3] الذي ينقسم إلى طبقات ثلاث على أساس اختلاف المواهب الطبيعية لكل فرد وهذه الطبقات هي:

1. طبقة الحكام الذين يتولون إدارة الحكم في المدينة، يضم مجموعة من الأرستقراطيين الذين يحتقرون العمل اليدوي.

---

[1] مصطفى العبد الله الكفري، الفكر الاقتصادي في اليونان القديم" مجلة الحوار المتمدن، العدد 1020، بتاريخ 10-11-2004

[2]- فيلسوف يوناني من كبار الفلاسفة ولد في أثينا، نشأ في أسرة عريقة في المجد، وتتلمذ على أستاذه سقراط، أنشأ الأكاديمية التي اعتبرت أول جامعة علمية في أوروبا شملت الدراسة فيها جميع فروع العلم من فلسفة و رياضيات وفلك وفيزياء.

[3]- أن عملية الإنتاج تقتضي التعاون بين أفراد الجماعة، وتقسيم العمل الذي يمكن الجميع من تحقيق ذواتهم عن طريق العلاقات الاقتصادية التي تنشأ فيما بينهم.

2. طبقة المحاربين، التي تضم النبلاء و رجال الجيش ومجموعة من الحرفيين، وصغار الملاك، و مهمتها تتمثل في الدفاع عن المدينة.

3. طبقة العمال و الفلاحين، التي تضم جميع قوى الإنتاج، وتتشكل في أغلب الحالات من العبيد، و مهمتها إشباع الحاجات المادية لجميع أفراد المدينة.

يأتي هذا التباين الطبقي ليثبت التفاوت الطبيعي للأفراد، حسب سيادة إإحدى الملكات على الأخرى،[1] وتتفق كفاءات الأفراد مع الوظائف المتباينة للمدينة، وهي ثلاث:

الإدارة والدفاع والإنتاج[2].

وهو ما يجعلنا نقول أن النظرة الاقتصادية، التي ولدت في أحضان" **الفلسفة الأفلاطونية**" كانت في خدمة السياسة.

أما **أرسطو**(384 - 322 ق.م) الذي يتميز عن **أفلاطون** [1] بقدرة فائقة علي التغلغل في تحليل الظواهر الاقتصادية [2] فقد

---

[1]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة الجزء الأول، ص: 183.
[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص:100.

تعرض إلى أهم الجوانب الاقتصادية كنشأة المدينة، و نظام الملكيـة و نظـام الـرق و تناول موضوع القيمة و التبادل الخاص بالسـلع و الخـدمات و مـا يتصـل بهـما مـن المقايضة، وكيفية إشباع الحاجات وطرق الحصول على الأمـوال، مـن زراعـة وتربيـة المـواشي والصـيد واسـتخراج المعـادن وجميعهـا طـرق طبيعيـة لاكتسـاب الأمـوال[3] .

وهكذا يكون **أرسطو** قد تغلغـل إلى تحليـل الظـواهر الاقتصـادية، و كانـت مواقفـه مرتبطة مع مصالح طبقات المجتمع الإغريقي آنذاك. [4] نستنتج أن أرسـطو اسـتطاع بفضـل تحليلـه لـبعض المشـكلات والظـواهر الاقتصـادية أن يضـع بـذور"نظريـة اقتصادية".

---

[1] - يختلف أرسطو مع أفلاطون في عدة نقـاط، فهـو يـرى أن الجمهوريـة الأفلاطونيـة غـير قابلـة للتطبيق، وأنها خالية من السعادة الإنسانية، كما خالفه في فكرة مشايعة النساء، والأمـلاك بالنسـبة لطبقة الحكام والجنود، كما خالفه في قضية طبقات المجتمع التي رتبها أفلاطـون وان كـان أرسـطو يقول بفكرة الاسترقاق.

كما أن السعادة حسب أرسطو تكمن في ممارسة الفضيلة، وليس في فرض نظـام سـياسي دقيـق، ومحدد على نحو ما فعل أفلاطون.

لقد جعل أفلاطون الأخلاق علما أساسيا، وعد السياسة فرعا من فروعها، أما أرسطو فقـد عكـس الأمر ونظر إلى السياسة على أنها علم من العلوم، أما الأخلاق والاقتصاد فعدهما فرعين من فروع السياسة، التي تهدف إلى إسعاد البشرية.

كان أفلاطون مؤمنا بحكم الأقلية التي تتصف بسمو مداركها وملكيتها للثـورة، إمـا أرسـطو فقـد حدد أن أفضل انواع الدول هي التي يشترك أفرادها اشتراكا فعليا في إدارة شـؤون بلادهـم عنـدما يكون ذلك بمقدورهم .

للاطلاع اكثر على الاختلافات بين أرسطو وأستاذه أفلاطون يمكن الرجوع إلى كتاب: يوسف جميـل نعيسة –تاريخ الفكر السياسي – جامعة دمشق -1982 ص:114-116

[2] - محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، ص48..

[3] - أرسطو" السياسة" الجزء الأول- الكتاب الأول- الفصل الثامن ص50 55. عن د/محمد دويـدار مبادئ الاقتصاد السياسي تاريخ علم الاقتصاد السـياسي دار الجامعـة الجديـدة للـنشر الإسـكندرية 1999. ص48.

[4] - حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي.ص:35.

أما الفكر الاقتصادي عند الرومان فظهرت بعض ملامحه مع **شيشرون** و **سننكا**، وهما من الحكماء الذين تحدثوا عن النشاط الاقتصادي، وما يرتبط به من استخدام للأرض حيث الاهتمام بالزراعة، نظرا لأهميتها في الحياة الاقتصادية، وإذا حق القول أن الرومان لم يكن لهم إسهام واضح في الفكر الاقتصادي، فإن لهم في المجال القانوني بعض الأفكار الهامة حول " المذهب الفردي"، إذ أوحى القانون الروماني بمبدأين قانونيين يتعلقان بالمذهب الفردي وهما على وجه التحديد:

1. حق كل فرد في أن يعقد ما يشاء من العقود مع الغير.
2. حق كل فرد في الملكية المطلقة للأموال.

للإشارة فإن النظام الرأسمالي الذي لاحت بوادره فيما بعد قام على أساس فكرة المذهب الفردي، وهو مذهب يركز على الفرد في الحياة الاقتصادية. وهكذا يكون الرومان قد أثروا الفكر الاقتصادي اللاحق من خلال تنظيماتهم القانونية.

الفكر الاقتصادي عند المسلمين :

في البداية لا بد من الإشارة إلى الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض الدارسين للفكر الاقتصادي، والذين يحدثون القفزة بين التفكير اليوناني والتفكير الأوربي، متجاهلين الجهود العلمية والأخلاقية في القرون الوسطى، بدعوى أن القرون الوسطى، هي عصور جهل وظلام، وهي في رأينا نظرة عنصرية متحيزة،لا تعترف بالروح العلمية، التي تطورت في أحضان الحضارة الإسلامية، باستثناء بعض الاعترافات كتلك التي يصف فيها **جورج سارتون**، المسلمين من زمن ازدهار الدولة الإسلامية، خلال الفترة من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر، ويقول عنهم -أي العلماء المسلمين- : "هم عباقرة الشرق في القرون الوسطى، قدموا للحضارة الإنسانية مآثر عظمى، بل أشاد المسلمون دولاً لهم في أطراف الجزيرة العربية على شواطئ بحر العرب وفي بلاد الرافدين وبلاد الشام وفي شمال إفريقيا، ثم وصلت إلى الأندلس، وحتى حدود فرنسا في أوروبا، وأقاموا هناك حضارات ما تزال موضوعاً هاما في كتب التاريخ، والكتب

المعاصرة."[1] ومن هنا فلا بد أن نشيد نحن بتلك الانجازات المهمة في التاريخ، ونعطي لها حقها الذي أنكره الآخرون .

ففي الفكر الإسلامي كانت **لابن خلدون** وقفات هامة في التنظير لعناصر الحياة الاقتصادية متحدثا عن الرزق والكسب،[2] ومبينا أن الحياة الاقتصادية لا تتم إلا بالعمل، ولا تزدهر إلا بالتجمع والتعاون تحت ظل نظام ساهر على الاستقرار والحقوق[3]. وقد خاض **ابن خلدون** في كثير من الجوانب المتعلقة بالمعاش وأوجه تحصيله، وفي الصنائع وفضلها، وبعد العرب أو قربهم عنها، وارتباط فقدان الأعمال بانتقاص العمران وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون :" أن الصنائع أنما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طالبها وإذا ضعفت أحوال المصر وأخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع

---

[1] - رياض حمودة، "الفكر الاقتصادي .. نظرة عامة" مجلة النبأ، العدد 41، جانفي 2000.

[2] الرزق هو الذي يكسبه صاحبه بعرق جبينه، وينتفع به في حياته وينفع الناس، أما الكسب فهو المال الذي يحصل عليه صاحبه، ولا ينتفع به، ومنه المال الذي يحصل عليه بطرق الغصب والربا والحرام.

[3] إدريس خضير، "التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية"، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص:115.

الترف"[1] وهناك شخصية أخرى أثرت في تاريخ الفكر الاقتصادي ووضعت بعض الأفكار الاقتصادية وتتمثل في: **تقي الدين المقريزي**[2]**(1365-1441).**

احتل المقريزي مركزا عاليا بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ومن أهم كتبه في التاريخ "السلوك لمعرفة دول الملوك" و "اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا" وهذه الكتب تؤرخ لمصر خلال فترة الدولة الفاطمية وما قبلها.

أما في المجال الاقتصادي فله كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، ويتحدث فيه عن تاريخ المجاعات[3] في مصر ويحلل أسبابها، ودواعيها. وله كتاب أخر في المجال الاقتصادي عنوانه "شذوذ العقود في ذكر النقود" وفيه يتحدث عن المشكلات الاقتصادية المتعلقة بالظواهر النقدية.[4]

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص:403.

[2] -هو أبو العباس بن علي بن عبد القادر المقريزي علم من أعلام التاريخ والاقتصاد، ولدفي القاهرة، تولى المقريزي عدة مهام في الدولة كالحسبة والخطبة والإحاطة ثم عمل مع الملك الظاهر برقوق.

[3] - المقصود بالمجاعات الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر في تلك الفترة.

[4] مصطفى عبد الله الكفري، " تقي الدين المقريزي علم من اعلم التاريخ والاقتصاد"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 911، بتاريخ 31-7-2004م

أما إذا القينا نظرة عامة عن الاقتصاد الإسلامي، لوجدناه يقوم على الأركان الاقتصادية الثلاثة المعروفة في النظام الرأسمالي: المصلحة الشخصية، و المنافسة والحرية، ولكن يضيف إليها العامل الأخلاقي الذي أنكرته الرأسمالية ومن هنا كانت مشاكل الاقتصاد الرأسمال الغربي، ناجمة في أحد وجوهها الرئيسية، من استبعاد العنصر الأخلاقي عن المعاملات الاقتصادية، فالاقتصاد الإسلامي يثبت هذا العامل في كل التعاملات الاقتصادية.

كما يتصف الاقتصاد الإسلامي بميزات خاصة وهي:

- كون الاقتصاد الإسلامي، يحارب تكديس الثروة و جمعها في يد فئة قليلة، ويحث على إنفاقها في سبيل المصلحة العامة، استنادا إلى قول الله عز وجل في القران الكريم «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»[1]. وقد نص على الغاية من ذلك الدستور

[1] -سورة التوبة، الاية: 34

القرآني، فقال تعالى في سورة الحشر: «كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم[1]»

محافظة منه على التوازن الاقتصادي في المجتمع إذن فالاقتصاد الإسلامي، مؤسس على رعاية المصلحة العامة، و قائم على محاربة طغيان رأس المال الكبير من غير غلو و لا تطرف.

تحريمه الربا، فقد شن حربا لاهوادة فيها على كافة المعاملات و القروض الربوية، و في ذلك يقول الله عز وجل إشارة إلى الدستور الاقتصادي في الإسلام: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا أن كنتم مؤمنين، فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله[2]» والغرض من ذلك إخضاع المعاملات الاقتصادية بكافة وجوها، إلى قاعدة ثابتة عادلة. وبهذا فهو يحل المشكلة الكبرى القائمة بين الاقتصاديين الشيوعى و الرأسمالى، و هي مشكلة فضل القيمة[3] التي يعتبر الاقتصاد الشيوعى السرقة الكبرى، التي يسرقها أصحاب رؤوس الأموال في

[1] - سورة الحشر الاية: 07

[2] - البقرة: 278، 279

[3] محمود اللبابيدي، "الاقتصاد الإسلامي مقامه بين الاقتصاديين الرأسمالي والشيوعي"، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب. www.taghrib.org/arabic.

المصانع من عمالهم، لأنها الفرق الحاصل بين تكاليف القطعة المصنوعة بما فيها أجور العمال، و بين قيمتها في السوق، تلك القيمة التى يربحها أصحاب المصانع، مع أن للعمال الذين أنتجوها حق المقاسمة فيها اما عن مبادئه فيقوم الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي على ثلاثة مبادئ رئيسة، تميزه عن سائر المذاهب الاقتصادية الأخرى،

النظام الاقتصادي كما عرفته أوربا:

إن أوروبا قبل أن تعرف النظام الرأسمالي الحديث شهد مجتمعها نظاما اقتصاديا إقطاعيا،[1] فما هي أبرز الملامح المميزة له؟

يرتبط النظام الإقطاعي بالعصور الوسطي في أوربا،[2] وقد بدأت تاريخيا بسقوط الإمبراطورية الرومانية في أيدي القبائل الجرمانية[3] و انتهت هذه الفترة بسقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك.

---

[1]- في الواقع لم يبدأ الإقطاع ولم ينته في كل بلدان أوروبا في نفس الوقت.

[2]- العصور الوسطى هي الفترة الزمنية الممتدة من القرن الخامس للميلاد إلى القرن الخامس عشر للميلاد.

[3]- الدكتور حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي، ص50.

إن الوحدة الإقطاعية[1] هي الوحدة الاجتماعية والاقتصادية للنظام الاقتصادي، الذي كان سائدا في العصور الوسطى، والإقطاعية هي:"مزرعة محصنة تحتوي الأرض المزروعة وأرض الرعي المشتركة، وأرض الغابات المشتركة وهي مكونة في أغلب الأحيان من قرية أو أكثر، في حالات قليلة يتوسط الإقطاعية قصر الشريف الذي يتملك الأرض ملكية مقيدة، ويقيم في أكواخ القرية الصغيرة من يقومون بالنشاط الإنتاجي وهم العبيد. "[2]

و من أهم ميزاته:

- استغلال الإقطاعي لرقيق الأرض أبشع استغلال.
- هجرة الرقيق إلى المدن.
- قيام الاقتصاد على الزراعة ثم الحرفة.
- تحول الاقتصاد من الانغلاق إلى الإنفتاح[3].
- هيمنة الكنيسة على النشاط الاقتصادي.

ولقد قدم المدرسيون[4] الذين كانوا يدرسون الفلسفة والقانون في أوروبا[5]، ومن أبرزهم **توما الاكويني** الأفكار التي تدل على احتكار

[1]- هي تلك الضيعة التي تقوم على الإنتاج الطبيعي وهي وحدة مستقلة وقائمة بذاتها منفصلة عن سائر الإقطاعيات الأخرى.

[2]- كانت كل إقطاعية تشكل وحدة اقتصادية قائمة بذاتها ومنفصلة عن غيرها ولكن مع تطور الأحداث تاريخيا (هجرة رقيق الأرض من الريف إلى المدن،إشتعال الحروب الصليبية، إنفتاح المدن على بعضها...) لم يحتفظ الاقتصاد الإقطاعي بهذه الخاصية التي لزمته في المرحلة الإقطاعية الأولى.

[3]- يسمى هذا العصر بعصر الرأسمالية التجارية(اعتمدت على التجارة كمصدر للثروة) تمييزا له عن عصر الرأسمالية الصناعية (اعتمدت على الصناعة كمصدر للثورة)التي ظهرت بوادرها مع انتشار ما يعرف بالفكر الكلاسيكي .

[4]- منهم كولبيرColbert والذي كان وزيرا لملك فرنسا(1673/1615).

وتوماس من Thomas Mun في إنجلترا 1576-1641.

جان بودان Jean Boudin في فرنسا 1520-1596.

فون هنريك Von Hernick في ألمانيا 1638-1713.

[5]- محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، تاريخ علم الاقتصاد السياسي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية 1999.

الكنيسة للفكر الاقتصادي، و أبرزوا المبادئ الاقتصادية التي ركـزت عليهـا التعـاليم المسيحية مثل المساواة بين الأفراد، ومشروعية التقسيم الطبقي للمجتمـع وتمجيـد العمل باعتباره أساس النشاط الاقتصادي . غير أن المعـالم الأولى للفكـر الاقتصـادي بدأت ملامحها مع من عرفوا في تاريخ الأنظمة الاقتصادية بالتجاريين. ويختص علم الاقتصاد حسب رأيهم بدراسة الأمور الآتية[1]:

1- كميات ونوعيات السلع والخدمات التي تنتج.

2- طرق إنتاج السلع.

3- توزيع السلع بين أعضاء المجتمع.

4- تكامل الموارد الاقتصادية في بلد من البلدان.

5- **نمو أو ثبات طاقة الاقتصاد :**

و يعتقـد بعـض المفكـرين الغـربيين أن الفكـر الاقتصـادي الحـديث بـدأ في أوربـا بفكـر مدرسـتي **"التجـاريين "** و **" الطبيعيـين"**

---

[1]- كامل بكري، أحمد مندور، علم الاقتصاد، الدار الجامعية، بيروت، 1989، ص: 8-12.

و ينتهي **بالفكر الكينزي** مرورا بالفكر الكلاسيكي[1] . ويعبر عن المرحلة التجارية بالمصطلح المعروف "الماركانتيلية"[2]وهي كلمة ايطالية الأصل تعني السوق[3]، هي تيار فكري ظهر ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر.[4]

كما اختلف المؤرخون بشأن فترة " الاقتصاد الكلاسيكي". فهو بدأ في نظر **ماركس** مع **وليام بني** ووصل القمة في عصر **آدم سميث** وانتهي مع **دافيد ريكاردو**، أما المؤرخون اللاحقون فوضعوا بدايته في يد **آدم سميث** ونهايته مع **جون استوارت مل**[5].

ومذهب التجاريين مذهب اقتصادي يصطلح على تسميته بالرأسمالية التجارية[6] ويمثل مرحلة انتقالية في تطور الاقتصاد

---

[1] - محمود خالد المسافر، العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الاولى 2002، ص: 19

[2] - Alain Beiton, Christine Dollo, Antone Cazorla, Anne –Mary Dray, « dictionnaire des sciences économique » , édition Armand colin Paris 2001 p :289

[3] (marchand)

[4] Ibid p :289.

[5]- جورج نهايز، النظرية الاقتصادية الإسهامات الكلاسيكية 1820-1980، ترجمة- صقر أحمد صقر. المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1997، ص:30.

[6]- لقد اختلفت الاراء حول تاريخ بدء ظهور فكرالمدرسيين فبعضهم من الاقتصاديين مثل جوزيف شومبينز يرجعه إلى القرن التاسع الميلادي بينما يرجعه أندري لالاند الى القرن العاشر غير أن برتراند راسل يرجعه الى القرن الحادي عشر . أنظر محمد لبيب شقير، "تاريخ الفكر الاقتصادي" القاهرة، 1956، ص:42

الرأسمالي ساهم في صياغتها بعض المتخصصين، ورجال الأعمال و السياسيين[1]. و قد استمر مدة ثلاثة قرون كاملة من منتصف القرن 15 حتى منتصف القرن 18، و لم يتكون هذا المذهب دفعة واحدة على الرغم من الأفكار المشتركة بين جميع مفكري عصر التجاريين و لم تكن أفكارهم الاقتصادية تحليلا اقتصاديا بالمعنى العلمي، بل قام هذا المذهب على بعض المبادئ العامة منها :

- الاقتصاد للقوة (يجب على الدولة أن تكون قوية حتى تقاوم كل أشكال الإقطاع).

- ثروة الأمة رهن بكمية النقود المعدنية (الذهب و الفضة).

- ثبات حجم الثروة الكلية في العالم.

- الارتباط الوثيق بين كمية النقود و مستوى الأسعار.

هكذا نجد أن التجاريين نظروا إلى الذهب والفضة باعتبارهما الثروة الحقيقية للدولة، و أساس قوتها. لذلك فهدف أي دولة هو الحصول على أكبر قدر من هذين المعدنين، مع العلم أن السياسة الاقتصادية في ذلك العصر قد اختلفت من دولة إلى

[1]- يشكل رجال الكنيسة معظم هيئة التدريس الذين يدرسون التعاليم الدينية والفلسفة الإغريقية والقانون الروماني.

أخرى حيث اعتمدت **إسبانيا** على السياسة المعدنية في القرن 16م و اعتمدت **فرنسا** على السياسة الصناعية في القرن 17م اعتمدت **إنجلترا** على السياسة التجارية في القرن 18م.

و على كل حال فقد كان التجاريون يعترفون بالملكية الفردية، و يجعلونها محورا للنشاط الاقتصادي، وفي الوقت نفسه يعترفون للدولة في حق التدخل بالتنظيم. ولتبيان تأثير فكر التجاريين في بلورة الإطار العام للرأسمالية نعرج على السياسة الرأسمالية في كل من **فرنسا** و**إنجلترا**، وهي السياسة التي تعبر حسب بعض الدراسات المتخصصة عن بروز الاقتصاد الذي يعمل مباشرة على الصعيد الدولي[1].

في **فرنسا** اهتم **كولبير** (1619-1673) الوزير الفرنسي للملك **لويس الرابع عشر** بتنفيذ السياسة الصناعية الهادفة إلى تحصيل أكبر قدر من المعادن النفيسة و لتحقيق هذا الهدف كان

[1] Serge cordellier, le dictionnaire historique et géopolitique du20ème siècle . 2ème édition, la découverte, paris 2002, P : 461

عليه العمل على ترجيح كفة الصادرات عن الواردات و هو ما ينتج فائض في الميزان التجاري[1].

و لعل **كولبير** فضل التصدير الصناعي على تصدير المنتجات الزراعية على أساس أن المنتجات الصناعية لها قيمة سوقية أكبر من قيمة المنتجات الزراعية. بالإضافة إلى أن الصناعة لا تخضع لمخاطر الظروف الطبيعية كما تخضع لها المنتجات الزراعية لذلك عول **كولبير** على الصناعة كمورد مهم في تحصيل المعادن النفيسة من خارج **فرنسا** و دعمت هذه السياسة ببعض الأساليب الهادفة إلى زيادة القدرة التصديرية[2] من ذلك:

1. تدعيم الصناعة الوطنية بالمعونات المالية.
2. قيام الدولة بإنشاء الصناعات الهادفة إلى تحسين المنتجات الصناعية.
3. إصدار القوانين واللوائح الهادفة إلى فرض الرقابة على المنشآت الصناعية ضمانا للجودة.

---

[1]- يعتبره البعض المخطط أول للسياسة الفرنسية، واستطاع تنفيذ فترة ولايته للوزارة.

[2]- وهي تشكل الثروة وتحقيق فائض في الميزن التجاري.

4. تشجيع تأسيس الشركات الكبرى القادرة على تسويق المنتجات الصناعية خارج الأسواق الفرنسية.

أما في **إنجلترا** فقد تبلورت السياسة التجارية على شكلها الرأسمالي حيث اهتمت بالنقل البحري اهتماما كبيرا ساعدها على زيادة أرصدتها من الذهب والفضة فعززت أسطولها التجاري الضخم الذي يحمل العروض التجارية من و إلى **إنجلترا** في مقابل حصولها على أرصدة من الذهب كثمن لها شأنها في ذلك شأن تصدير السلع المختلفة. ولأن **الماركنتالية** قامت على واقع الحكم على ثروة البلد من خلال مخزونه من الذهب والفضة، فإن البلد الذي لا يملك مناجم لهذه المعادن عليه أن يعتمد على التجارة الخارجية ليصبح غنيا بهما، وهذا الذي انتهجته **إنجلترا**. قال **فريدريك باستيا**[1] متحدثا عن أهمية التجارة وما تحققه من أرباح "إذا لم تتمكن البضائع من تجاوز الحدود فان الجيوش تتمكن من ذلك"[2].

---

[1] - Frédric BASTIAT.

[2] Jacques Brosseul un monde meilleur – pour une nouvelle approche de la mondialisation, P :18

وفي نفس الإطار أضاف **دافيد هيوم** :"أن التجارة الخارجية هي منشط الحركة الاقتصادية "[1]

كما عملت على تأسيس الشركات الخاصة التي تعمل على تصدير و استيراد منتجات التجارة الخارجية بل و وضعت لها من الأنظمة و القوانين ما يساعدها على تحقيق الأرباح الكبيرة.[2]

و من تلك القوانين نجد (قانون الملاحة) الذي أصدره **كروم ويل** سنة 1651 الذي ينص[3] على ما يلي:

- أن تكون السفن العاملة في مجال التجارة بين إنجلترا ومستعمراتها مملوكة بأسرها لمواطنين إنجليز.
- أن يكون ثلاثة أرباع طاقم هذه السفن من فنيين و إداريين وعمال بحريين من الرعايا الإنجليز.
- أن يتم نقل السلع الواردة من الدول الأخرى إلى **إنجلترا** على سفن إنجليزية أو على سفن مملوكة للدول المنتجة لتلك السلع.

---

[1] Alain LEON, Thierry SAUVIN, de l'économie internationale à l'économie global , P :15

[2]- ساعدها هذا الفعل على انجاح سياستها التجارية أنذاك.

[3]- حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" الكتاب الأول. ص:166

ذكرنا فيما سبق أن الرأسمالية التجارية أو الماركنتالية قد اعتمدت على قوة الدولة في تحصيل الثروة المعدنية من الذهب والفضة من جهة وفي القضاء على الإقطاع و سيطرة الكنيسة من جهة أخرى . غير أن التأكيد على قوة الدولة وأن لم يصل إلى حد إفناء شخصية الفرد في الدولة فإن الدولة هنا تشكلها العائلات الملكية التي سخرت العمال لصالحها، بل وصل الأمر إلى انعدام الروح الإنسانية في التعامل مع الأفراد خاصة صغار السن الذين أرهقوا بالأعمال التي تفوق طاقتهم البشرية، ولا غرابة في هذا الأمر لأن :"المبدأ المركنتالي القائل بعدم إمكانية تحقيق الثروة إلا على حساب الآخرين لم يتوقف عند حدود العلاقة بين بلد وآخر، بل امتد إلى العلاقة بين المواطنين أنفسهم. فلم يكن بإمكان العائلات الحاكمة سياسيا واقتصاديا تحقيق الثروة إلا على حساب أفراد الشعب وذلك باستغلالهم ماديا وجسديا "[1].

[1]- جورج اسبر، "في الأنظمة الاقتصادية"، جريدة النهار الأسترالية، 1989/12/7
www.narwanour.com/soledu/14.

ومن هنا يعترف التجاريون بالملكية الفردية و يجعلونها أساسا للنشاط الاقتصادي، بحصرها في الأفراد الحكام. كما جعل التجاريون (**الاقتصاد في خدمة السياسة**) شعارا لهم مع محاولة إبعاد الأبحاث الاقتصادية عن الطابع الديني و الأخلاقي الذي كان انعكاسا للهيمنة الفكرية للكنيسة على المجتمع .وأجمعت بعض الدراسات أن المرحلة الماركانتيلية تميزت بالخصائص التالية[1]:

1- فتح أسواق بلدان الجنوب أمام تدفق رأس المال والسلع والخدمات.

2- إعطاء الدور الأكبر للاقتصاد وقوانينه.

3- أن تنسحب الدولة الوطنية من كل شيء إلا فيما يخدم تطبيق النقطتين السابقتين.

4- سيطرة الشركات الكبرى على مقدرات والتجارة والصناعة والزراعة.

[1] - محمود خالد المسافر،" العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب " بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الاولى 2002، ص:22

5- تنظيم العمل الدولي لصالح الرأسمالي مقابل العاطل ولصالح المركز مقابل الأطراف.

و على الرغم من ذلك لم يفلح التجاريون في إرساء علم الاقتصاد كعلم مستقبل و ذلك لسببين أساسين هما:

1- **ربط الاقتصاد بالسياسة.**

2- **جعل القوة هدف الاقتصاد.**

وهكذا يمكن القول أن أسس التفكير الاقتصادي في أوربا في العصور الوسطى لا تحوي أسسا علمية و لكنها بمثابة تطبيق مذهبي للمبادئ الأخلاقية التي فرضتها الكنيسة وقيدت بها النشاط الاقتصادي الذي اتصف بالركود . و قد انتقدت المدرسة التجارية من قبل **دافيد هيوم** (1711-1776) و**آدم سميث**(1723-1790) بشأن تعظيم الفائض في الميزان التجاري الذي يؤدي إلى ارتفاع مستويات الأسعار و هو ما يضعف القدرة التصديرية للدولة. وقد أنتهى المرحلة التجارية مع نهاية القرن الثامن عشر، ليبدأ النظام الاقتصادي الحر .

الفصل الثاني

الفكر العالمي ونماذجه

الفكر العالمي:

يقصد بالفكر العالمي ذلك الفكر الذي ينساب انسيابا بين الناس لا قهر فيه ولا سيطرة ولا يفرضه أصحابه على الآخرين بالقوة.

تنتقل الأفكار بفضل قوة ساحرية داخلية يتلقفها المعجبون بها بغض النظر عن انتماءاتهم الإيديولوجية أو العقيدية، وكثيرة هي الأفكار التي انتقلت من حضارة إلى أخري ومن جيل إلى أجيال أخرى دون أن يكون لها أي اثر سلبي على الآخرين، ومن بين الأفكار العالمية نجد تلك التي أنتجها الفكر الإنساني وسعت

الأمم والشعوب للاستفادة منها دون أن تستخدم الجهة التي أنتجته أي قهر في فرضها على أحد.

فما أنتجه الفكر اليوناني من علم وفلسفة وفنون أتيحت للناس دون فرض أو قهر فهناك من رفضها وهناك من قبلها واقتنع بها.

فالعلوم والفلسفات بهذا الطرح هي عالمية و كذالك الأمر يتعلق بالتكنولوجيا لما تتاح دون قهر.

ولكي تتضح معاني عالمية الأفكار لا بد ان نعرض لموضوع العالمية بالشرح والتفصيل.

- **مفهوم العالمية:**

- **التعريف اللغوي للعالمية:**

كلمة " عالمية " -بصيغة النسبة- حديثة جدا في اللغة العربية، ولا وجود لأصل فعلي لها في اللغة العربية بل أخذت من المقالات والدراسات المتخصصة. وبالتالي يقل وجودها في القواميس والمعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العربية .وقد

يرجع ذلك من جهة إلى حداثة الاستخدام الواسع للكلمة في مختلف اللغات. فالكلمة أوربية الأصل وقد شاع تداولها- في الغرب ومن ثم انتشرت في العالم- خلال القرون الثلاثة الأخيرة للميلاد.هذا ومن جهة ثانية يرجع الى ضعف القواميس والموسوعات، فأحيانا ترد كلمة "عالَمية" بأحد مرادفاتها "شمولية" أو "كونية" أو "أممية" أو "عمومية" أو "كلية" أو "عام".

ويرجع الأمر أيضا إلى إشكالية الترجمة للكلمات القريبة من "عالَمية" من اللغات الأوربية، والتي تتفاوت وتتباين في ترجمتها.

وتقتصر المعاجم والقواميس العربية على ترجمة تعريفية موجزة للفظة "عالَمية". ففي "القاموس المحيط" ترد كلمة "العالَم" بمعنى: "الخلْق كله، بما حواه بطن الفلك"[1].

كما تعني أيضا عدة معان نذكر منها ما يلي:

-الخلق كله وهو المقصود من اية (الحمد لله رب العالَمين)[2]

---

[1] - محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1995

[2] -سورة الفاتحة الاية:1 .

-كل صنف من أصناف الخلق كقولنا "عالَم الحيوان" "عالَم النبات" "عالَم الإنسان".

- كل مجموعة بلدان تجمعها رابطة كقولنا:"العالَم العربي"، "العالَم الإسلامي"، "بلدان العالَم الثالث: الدول النامية".

أما في **القرآن الكريم** لا نجد كلمة "عالَم" ولكن بدلها نجد كلمة "مُلك" و "ملكوت" و "خلق" و "ناس". ونجد فيه الكلمة المشتقة من "العالَم" هي "العالَمين" ونجدها غالبا مضافة لكلمة قبلها مثل "رب العالَمين" .

وفي "لسان العرب" **لابن منظور** تعني كلمة "العالَمون" : أصناف الخلق، والعالَم: الخلْق كله، وقيل جمع العالَم: العوالِم.

و كلمة "عالَمية" ترادف أيضا كلمة "أمة" ففي قوله تعالى:"وَأَنَّ هَـذِهِ أُمَّـتُكُمْ أُمَّة وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ"[1]، إنّ المقصود هنا بالأمة أولئك الذين يُعبِّر عنهم القرآن غالبا بالناس. إن محمدا هو آخر الأنبياء، ورسالته آخر الرسالات، وأمته آخر الأمم. إنَّه مبعوث إلى الناس في كافة العالَم.

[1]- سورة الانبياء الاية:92.

ومما يؤيد هذا، أنّ الأستاذ طارق البشري[1]، يستخدم مفهومي "أممي" و"عصري" للدلالة على "عالَمي" ان "العصر" يعني الدهر أو الزمن وأنه يُنسب إلى شخص مثل قولنا: "عصر **ابن خلدون**" أو إلى دولة مثل قولنا: "العصر العباسي" أو إلى ظواهر طبيعية مثل قولنا: "العصر الحجري" أو إلى ظواهر اجتماعية مثل قولنا: "عصر الإصلاح" و"عصر النهضة" أو ينسب إلى مرحلة من التاريخ مثل قولنا: "العصر الحديث"[2].

ومن المرادفات لكلمة العالَمية أيضا كلمة "الشامل" و"الشمولية"، على حد قول الجابري. فعندما نقول: « "الإعلان العالَمي لحقوق الإنسان": فالحقوق المعنية هي "عالمية" بمعنى أنها حقوق للناس كافة، لا فرق بين ذكر أو أنثى ولا بين أبيض وأسود ولا بين فقير وغني، بل هي حقوق الإنسان بما هو إنسان بقطع النظر عن أي شيء آخر »[3].

---

[1]- طارق البشري من مواليد1933 بمصر باحث في التاريخ المصري والعربي و الإسلامي المعاصر.

[2] - قاسم حجاج العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية، جمعية التراث، القرارة،الجزائر ط1 2003 ص: 66

[3]- محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الاولى، نوفمبر 1994، ص 145.

وممّا سبق نخلص إلى أن كلمة "العالَمية" في اللغة العربية أصلية، ولكنها لم تتطور اصطلاحيا كثيرا، بسبب حالة الانحطاط التي عرفتها الشعوب العربية الإسلامية.

أما عن استخدام مفهوم العالمية (في اللغتين الفرنسية والإنجليزية) فقد اشتقت كلمة "**Universel(elle)**" **باللغة الفرنسية** و "**Universal** "باللغة الانجليزية من أصل كلمة "**Univers** " التي تعني العالَم والكون .

وتأخذ معنى "**الشمول**" (**Totalité**) في عبارة (الفكر الشمولي)[1]

وتأخذ معنى "**الكونية** (**Cosmique**) مثل تسمية "**العالَمية**" بالكونية كالقول الحرب الكونية، إذ أن الأرض وسكانها ودولها جزء من الكواكب

وتأخذ كلمة "**عالَمي**" معنى "**الكوكبي** فـ"**الكوكبية**" من الكلمة الإنجليزية (**Globalization**) وذلك للتدليل على العولمة

[1] L'esprit universel.

الجارية، وهي مشتقة من كلمة "**Globe**" أي الكوكب أو الكرة الأرضية .

وتفيد كلمة "**العالمية**" أيضا معنى «الانفتاح على العالَم » من خلال عبارة: "**المواطنة العالمية**" أو "**الشخص العالمي**"[1]وهو مذهب فكري "**إنساني**" ساد أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وهو نسبة إلى الذي يعتقد أنه مواطن عالمي يرفض أن ينغلق في إطار ضيق من الانتماء إلى قومية أو أمة. ويعني الشخص الكوسموبوليتي، شخصا عابرا للقوميات. يقول الفيلسوف الإغريقي **ديوجيناز لايرتيوس**[2] عندما سئل من أين جاء؟ أجاب: « أنا مواطن عالَمي» " فالكوسموبوليتي: شخص يعتبر إحساسه بالتوحد موجها أساسا نحو عالَم اجتماعي، يخرج عن النطاق المحدود لمجتمعه المحلي. "[3]. وقد استخدم المصطلح في بداية الأمر **روبرت**

---

[1] Cosmopolitain

[2] (Diogénes Laertius)

[3] قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية .ص69 .

ميرتون[1] لكي يقيم تفرقة بين الاتجاهات المحلية، والانفتاح على العالَم».[2]

ويشتق من كلمة **"عالم"** أيضا كلمة **(Universalisation)** للدلالة على عملية الانتشار والتوسيع والتعميم والاشتراك عن طريق عملية النشر عبر العالم **(Universaliser)** مثل نشر ثقافة ما، أو نموذج فني ما، أو لغة ما نظرا لتفوقها على غيرها.

ويستخدم أيضا كلمة **(Universalisme)** للدلالة على مذهب سياسي فلسفي وإيديولوجي وديني وثقافي، كالقول بالعالمية الرأسمالية والعالمية الشيوعية.أو القول بعالمية الدين الإسلامي.

كما تأخذ كلمة **"العالمية"** شكلا اشتقاقيا آخر وهو **(Universeaux)** بمعنى الكليات الخمس في الفلسفة اليونانية وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرَض العام. وقد سماها

[1] (Robert, Morton)

[2] نخبة من أساتذة علم الاجتماع جامعة الإسكندرية، " المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص:93.

أرسطو بالمحمولات[1] التي تُحمل على الموضوع بهدف تصنيف الأشخاص والأفكار.

- **التعريف الاصطلاحي:**

تعني العالمية وهي أطروحة قديمة مرتبطة بحاجة البشر على الدوام إلى إطار يجمعها، " حاجة الإنسانية إلى إطار عالمي جامع يحتضن البشرية في نطاق إنساني أخلاقي و سياسي واجتماعي واحد".

ترجع أطروحة العالمية إلى عهد فلاسفة اليونان، فالرواقيون دعوا إلي دولة عالمية[2] حيث دعا زعيمهم " **زينون**[3]» إلى حاضرة عالمية، أو مدينة العالم و يتلخص مبدؤها في أن كل الناس مواطنون

---

[1]- Prédicats.

[2] يقسّم علماء السياسة و فقهاء القانون الدستوري الدول عدّة تقسيمات، و حصيلة هذه التقسيمات تكوّن قائمة طويلة بأسماء أشكال الدول و أنظمة الحكم. فطبقاً للمعيار الدستوري هناك دولة جمهورية و دولة ملكية مقيدة، و ثيوقراطية و استبدادية، و ملكية غير مقيدة، و رئاسية و برلمانية، و طبقاً للمعيار الاقتصادي، هناك حكومة إقطاعية، و رأسمالية، و اشتراكية، و طبقاً للمعيار الجغرافي، هناك حكومة قبلية و قطرية، و قومية، و الحكومة المتعددة القوميات، و حكومة عالمية، و طبقاً لمعيار السيادة، هناك دولة وحدوية، و إمبراطورية، و اتحادية

[3] - فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

إخوة تجمعهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء في ظل قانون الطبيعة الذي يتماشى مع المبادئ الأساسية للعدل والعقل.

إنه القانون الذي يعلو على قوانين الدولة وتخضع له كل الدول، وعليه فقد انتقد تفرق الناس إلى مدن وشعوب، لكل منها قوانين خاصة[1] ولذلك استلهمت الإمبراطورية الرومانية أفكار الرواقية، وطبقتها لتعطي الشرعية لهيمنتها على الشعوب الخاضعة لها، ولقد عززت المسيحية هذه الفكرة لما بشرت الكنيسة برسالتها، التي تتأسس على قواعد السلام والمحبة بين الشعوب.

و**أفلاطون**[2] دعا من جانبه إلى جمهورية مثالية يحكمها الفلاسفة ويحرسها الجنود ويقوم بخدمتها بقية الناس، وسار على دربه مجموعة من المفكرين الذين دعوا إلى تحقيق الحكومة العالمية مثل الشاعر الايطالي **دانتي الغيري**[3] **Dante Alighieri** «1265 - 1321 » الذي وصل إلى ان الجنس البشري كله يمكن ان يكون مجتمعاً واحداً تحت رئاسة حاكم واحد له السيطرة الكاملة على جميع

---

[1]- جان توشار، "تاريخ الفكر السياسي"، ترجمة على مقلد، بيروت 1983، ص 49.

[2] - فيلسوف يوناني مشهور عاش بين (427 ق م – 347 ق م).

[3] - شاعر كبيرولد في فلورنسا بايطاليا من اعظم اعماله الكوميديا الالهية.

الناس، و تتركز في يده السلطة فتصبح سلطة واحدة مثل سيطرة اللـه على الطبيعة، وارتأى أن الإمبراطورية الرومانية هي المحاولة الخامسة في التاريخ لإنشاء إمبراطورية عالمية، و أنها الوحيدة التي كتب لها النجاح و السيادة على العالم، و هو يعتقد بالإمبراطورية المثالية كدولة عالمية مثالية.[1] و **كانط** في أواخر القرن الثامن عشر أصدر، كتاباً بعنوان : مشروع من أجل السلام الدائم بين الأمم . كان يفكر آنذاك في كيفية تخليص الأمم الأوروبية من الحروب التي أنهكتها. وكان يجتهد في البحث عن حل سلمي لكي تنعم الشعوب الأوروبية بالسلام والأمان، ثم الرفاهية والازدهار. ولكن **كانط** لم يكتف بذلك في الواقع. فقد كان يفكر بحالة العالم اجمع. وهنا تكمن عظمته واتساع أفقه. فقد مكنه حدسه الفلسفي أن يرى ما سيحدث في القرون القادمة. فقد راح يحلم بتشكيل دولة كونية، تشمل جميع شعوب الأرض! وكذلك فكر **جريمي بنتام**[2] من

---

[1] ابراهيم درويش "علم السياسة" القاهرة الطبعة ص: 90-92

[2] - فيلسوف بريطاني يعزى اليه مذهب المنفعة .

بعده وفي نفس السياق جاءت دعوة **كارل ماركس** الداعية إلى ذبول الدولة القومية وفي المقابل تدعو إلى قيام المجتمع الشيوعي.

وقد استعرض احد الباحثين مختلف هذه الدعوات التي نادت بالحكم العالمي عبر التاريخ ومما جاء عنه في استعراضه للدولة العالمية انه ذكر خمسة أنواع تتجلى فيها الدولة العالمية وهي[1]:

1- دولة عالمية على أساس استغلالي.

2- دولة عالمية على أساس مادي.

3- دولة عالمية على أساس عاطفي.

4- دولة عالمية على أساس عقلي.

5- دولة عالمية على أساس ديني.

وتعتبر العالمية القائمة على الأساس الاستغلالي أكثر انتشاراً، وتتضح صورها في النظم الإمبراطورية التي عرفها التاريخ منذ مطلعه و حتى العصور الوسطى، و هي تمثل النموذج الذي عمل على تسخير المشاعر الإنسانية لدى الشعوب الخاضعة لحكمها لإشباع أغراض السلطة الحاكمة،ومن أمثلة هذه الإمبراطوريات

---

[1] www.nezem.org/arabic/dawla-aalamiyah/index-الدولة الاسلامية ومفهوم الدولة العالمية

التـي سـجلها التـاريخ نجـد الإمبراطوريـة المصريـة التـي شـيدها **تحـوتمس** «2000،ق.م»، و الإمبراطورية الأكدية التي أسسها **سرجـون** في العـراق حـدود عـام «2750 ق.م»، ثم يقوم من بعده **آشور بانيبـال** بتأسـيس الإمبراطوريـة الآ شـورية حدود عام «668 ق.م» ثم دعا **الإسكندر المقدوني** «356-334 ق.م» لتوحيد العالم تحت سلطة واحدة، و تعتـبر الإمبراطوريـة الرومانيـة مثـال تـاريخي بـارز في عـالم الإمبراطوريات نظرا للدور الكبير الذي لعبته في تاريخ أوروبا خاصة و تاريخ العـالم بوجه عام. و لعل المؤرخ البريطاني **و يلز** يشير إليها بقولـه: أن «تـاريخ أوروبـا مـن القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر يتكون على نطاق واسع جداً من الفشـل في تحقيق الفكرة العظيمة بإقامة حكومة عالمية».[1]

أمـا أخـر الإمبراطوريـات في تـاريخ أوربـا فهـي الإمبراطوريـة البريطانية[2] ولم يحن الوقت لوصف الهيمنـة الأمريكيـة التـي تتخـذ

---

[1] الدولة الاسلامية ومفهوم الدولة العالمية www.nezem.org/arabic/dawla-aalamiyah/index

[2] اكبر إمبراطورية في التاريخ لأنها كانت تسـيطر عـلى اكـثر سـكان العـالم و تمتـد عـبر القـارات الست.

من أطروحة العولمة في الثقافة و الاقتصاد و السياسة اليوم، بالطابع الإمبراطوري الذي عرفته الإمبراطوريات السابقة..

أما العالمية المادية فتتمثل صيغتها بالأطروحة الماركسية التي اعتبرت القومية و الوطنية أمورا من مخلّفات الصراع الطبقي، و نادت بالحكم الاممي للطبقة العاملة، و وقد نقل **ماركس** عن أستاذه **هيقل** جدلية التاريخ بعد ما أفرغها من محتواها المثالي، واستبدلها بالمحتوي المادي أي جعل التاريخ يتحرك وفق المعيار المادي الذي يجسده العمال على ارض الواقع كما يتضح في الشعار الذي تضمنه البيان الشيوعي الأول، و هو «**يا عمال العالم اتحدوا**»، و اعتقدت الماركسية أن البشرية ستشهد في نهاية المطاف ظهور الشيوعية الثانية التي ستسود العالم، و تجعله عالماً متوحداً. لكن الطموح لم يتحقق بل انهارت الاشتراكية، باعتبارها نظاما يفتقد قابلية التطبيق الواقعي. لان الأطروحة الماركسية لم تكن قائمة على أساس واقعي من الناحية الفلسفية، كما أنها كانت فلسفة مادية، قائمة على إنكار الإلوهية من جهة، و إثبات الأصل المادي للكون

و الحياة من جهة ثانية، و الفكرتان تؤديان إلى إنكار الوحدة البشرية، وعليه فلا تستطيع الفكرة المادية أن تكون إطارا جامعاً لمجتمع ينكر الألوهية، وهو الإنكار الذي يعني في مدلوله الاجتماعي و السياسي إنكار الإطار الواحد الذي يمكن أن تجتمع عنده البشرية، وعليه فالعالمية من هذه الزاوية مستحيلة . كما أن إثبات الأصل المادي للكون و الحياة يعني في مدلوله الاجتماعي و السياسي ربط الأفراد بالأرضية المادية القريبة منه في صورة منفصلة عن غيره خلافا لما تدعو له العولمة وهو ما يعني أن العربي يرتبط بالأرض العربية، والأمريكي يرتبط بالأرض الأمريكية باعتباره المنشأ المادي له، و الفرنسي كذلك، و نفس الأمر بالنسبة إلى الآخرين .

أما العالمية القائمة على الأساس العاطفي فهي الصيغة التي تعبر عن طموحات المفكرين وساسة العالم الذين هالتهم الصراعات القومية، و مساوىء الأنظمة الدكتاتورية ومخلفات الفتن والحروب التي حدثت في التاريخ، وأبرزها نتائج الحربين

العالميتين الأولى والثانية، فناهضوا القومية، فنادوا بإقامة حكم عالمي واحد تنطوي تحته كافة المجتمعات البشرية.غير أن هذه الدعوات كثيرا ما تصدم بـالواقع الـذي يخالف طموحاتهم ويحولها إلى أحكام طوباوية .وفي نظرنا تحتاج الدولة إلى أساس أعمق وارسخ من العاطفة حتى تكون عالمية بالمعنى الحقيقي.

أما العالميـة القائمـة عـلى الأسـاس العقـلي فقـد تجلـت تاريخيـا عنـدما نـادت المدرسة الرواقية في **أثينا** في القرن الرابع قبـل المـيلاد، بالدولـة العالميـة،[1] ترتكـز فكرتها عـلى أسـاس الطبيعـة المشـتركة بـين أفـراد الجـنس الـبشري، و أن هـذه الطبيعة التي تعترف بالمساواة العالمية التي تحكمها فكرة «القانون الطبيعـي» الذي نادت به المدرسة الرواقية كدستور للدولة العالمية بوصفه القانون الصالح لكـل زمـان و مكـان، لأنـه إنمـا يصـدر عـن طبيعـة الأشـياء، وتسـتهدف تحقيـق السـعادة للفـرد .ولكـن فكـرة القـانون الطبيعـي هـذه قـد تقاذفتهـا

---

[1] يكاد يجمع علماء السياسة و القانون، و مؤرخوا الفكر السياسي على ان المدرسة الرواقية هي أول مدرسة فكرية وضعية نادت بفكرة الدولة العالمية، و ذلك على يد مؤسسها زينون حـدود عام 340 ق.م الذي كان يدرس في رواق «أستوا» بأثينا فجـاءت التسـمية بالرواقيـة مـن هـذه الجهة.

الغايات المختلفة عبر العصور، فبدأت فكرة **تأمل فلسفية**، ثم لم تلبث أن تحولت إلى **فكرة قانونية** مع الرومان، ثم صارت فكرة **دينية مسيحية** في الحضارة المسيحية. و رغم التنظير الفلسفي الذي انجب هذه الصيغة و تضافرت عليه جهود عدد كبير من الفلاسفة الرواقيين الذين اعتبروا فكرة القانون الطبيعي أساساً للمناداة بالدولة العالمية. غيران فكرة القانون الطبيعي ليست محددّة تحديداً كافياً ومضبوطة بالشكل الذي يجعلها ضامنة لتأسيس الدولة العالمية، لان الفكرة قابلة للتلون بألوان كثيرة، بمعنى أنها فكرة غير مضمونة، أي يمكن توظيف الفكرة لخدمة جماعة دون أخرى.

ان الأساس العقلي وان كان أعمق من الأساس العاطفي، غير أن هذا الأساس لا يكفي لحلّ المشكلة المستندة إلى الحقائق العقلية الثابتة و المشتركة بين أفراد البشرية، فإذا نادت هذه الدولة بالمساواة بين الجميع على أساس الطبيعة الواحدة فإنها لا تنادي بشعار عاطفي و إنما تنادي بحكم عقلي يذعن له جميع العقلاء.

نماذج من الفكر العالمي:

- **الفكر الاسلامي:**

بعد أن سلطنا الضوء على أنواع من الدعوات العالمية نصل إلى الحديث عن الفكر الإسلامي باعتباره فكرا عالميا. وفكرة العالمية تجلت بكل وضوح في الفكر الإسلامي كما تجلت عالمية الإسلام وهناك آيات و أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك ففي القرآن الكريم استخدمت بدل كلمات عالم كلمات أخرى مثل **ملك** و**ملكوت** و**خلق** و**ناس** و **بني ادم** و**العالمين** ومنها: قوله تعالى "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا[1].

و قوله: « **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** »[2]

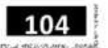
وهذا ما يثبت إن الدعوة الإسلامية كانت عامة لا تقصي أحدا، وبدون إكراه قال تعالى:« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .[3]

---

[1]- سورة الاعراف، الاية 158

[2]- سورة سبأ الآية 28

[3]- سورة البقرة الآية 256.



يتميز الإسلام بأنه دعوةٌ عالميةٌ غير مقصورةٍ على جنس من البشر أو طيفٍ من الأطياف البشرية التي تعيش على الكرة الأرضية حيث إنَّ الإسلامَ يخاطب البشريةَ كلها ..﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22) (البقرة)، ويعلن للبشرية كلها :﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) (آل عمران ..(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(57) (يونس).. نداء عام لكل البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وليس لطائفة دون أخرى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾َ (28) سبأ

إن رسالة الإسلام للبشريةِ تطرح حقيقةَ الألوهيةِ والربوبيةِ التي يَنشدُها الإنسان في حياتِه في أنقى صورها، والتي تتفق وتتسق والفطرةَ الإنسانيةَ.. فطرةَ الله التي فطر الناس عليها.

وتميز الإسلام بالعالميةِ، لأنه الرسالةُ الخاتمة، حيث تمتد رسالة الإسلام في أفق الزمان إلى نهايته وهو الذي يُعبر عنه بخلود الرسالة الإسلامية.

ويأتي خلود رسالة الإسلام من كونه يتميز بخاصية فريدة تميزه عن غيره من الديانات السابقة (اليهودية والمسيحية) حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ مصادرها من التحريف .﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 9

وإذا كانت حكمة الله قد اقتضت أن يرسل إلى كل امة رسولا يتلو عليهم آياته، ويرسم لهم الطريق السوي ليسلكوه، فان دعوة خاتم الأنبياء كانت جامعة لبني البشر، وكانت رسالته عامة لجميع الأجناس والشعوب لا فرق بين عرق أو لون، وهكذا كان ختم النبوة به تقرير بعالمية رسالته وبقائها.

هذا الامتداد لرسالة الإسلام في أفق الحياة البشرية إلى نهايتها إنما يرجع لكونها متضمنةً حلولاً وأسسًا تشريعيةً عامةً وشاملةً لمختلف جوانب الحياة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع وهو الذي يُعبَّر عنه بشمول الرسالة الإسلامية.

فعالمية الرسالة الإسلامية هـي المظهـر السـياسي المعـبِّر عـن ربوبيـةٍ شـاملة لكافـة أطياف الجنس البشري تنظر للجميع بمنظار العدل والمساواة، قـال تعـالى في الثنـاء على نفسه :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحـة: 2) وقـال تعـالى :﴿رَبِّ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْـتُمْ مُـوقِنِينَ (7) لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ يُحْـيِ وَيُمِيـتُ رَبُّكُـمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأولِينَ(8)﴾الدخان ..﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُـمْ وَشِـفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(57)يونس﴾ .

ذلك أنَّ التوحيدَ كونه حقيقةً مطلقـةً لا يمكننـا أن نحبسَـه في نطـاقٍ محـدود مـن جهة من الجهات أو في دولة ما أو قارة، وإنما هو رسالة كونيـة عامـة للبشريـة، ولا يمكن أيضًا أن نقصرَه على فئة أو قومية أو جـنس مـن الأجنـاس، ولا بـد أن تأخـذ هذه الحقيقةُ مـداها في كـل الآفـاق المحيطـة، لأن التوحيـدَ يمثِّـل جـوهرَ الإسـلام وحقيقتَه.

فالدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه الأخلاقية تأسست على الجـدال الحســن والكلمــة الطيبــة، و الحــوار المقنــع، وهــذا مــا يجعل الثقافة الإسلامية عالمية، ليس لأنها عامة فقط بل لأنها لا تلغـي

الثقافات الأخرى. إنها كما قال احد الكتاب » تلك الثقافة التي تكون في عمقها إنسانية الطابع و الأبعاد، و تأخذ في اعتبارها إن ثمة تعدادا وتباينا في الثقافات، ونسبية في المفاهيم. ومن ثم فهي تسعى إلى مد جسور التواصل والتفاهم مع الثقافات الأخرى، ولا تسعى إلى إن تكون نقيضا لها أو إلغائها«[1] اعترافا بواقع الخلاف الموجود على الأرض، والذي أقره القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »[2].

كما أن ما كتبه الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك و الحكام في ذلك الوقت يدل أيضا على أن الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية، كما يتضح من نص الرسالة التالية: **"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد إن لا اله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله أني**

[1]- أسامة أبو رشيد،"الثقافة العالمية الأخرى"، مجلة قضايا دولية، العدد340،تموز 1996 ص 29.
[2]- سورة المائدة، الآية 48

أدعوك بدعاء الله، أني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك "[1].

إن ما يثبت أن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن إقليميا بل كان عالميا يتجاوز به حدود المكان من خلال رسائله المختلفة إلى ملك مصر والإسكندرية.

فكتب النبي – صلى الله عليه وسلم - إلى جُرَيْج بن مَتَّي الملقب بالمُقَوْقِس ملك مصر والإسكندرية، رسالة نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1965، ص 213.

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[1] واختار لحمل هذا الخطاب رجلاً ذو لسان وحكمة هو حاطب بن أبي بَلْتَعَة وجدير بنا أن نذكر كلام حاطب - رضي الله عنه - للمقوقس، فهذه البعوث كانت تعرف هدفها جيداً كما أنها بلغت حداً من الفقه والحصافة يستحق الإعجاب البالغ.

قال حاطب: إن هذا النبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ..وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به!

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه. ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوي، وسأنظر.

[1] [البيهقي : دلائل النبوة، ج 5، ص 4]

وأخذ كتاب النبي – صلى اللـه عليه وسلم - فجعله في حُقٍّ من عاج، وختم عليـه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي:

"بسم اللـه الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد اللـه من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد : فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك" [1].

ولم يزد على هذا ولم يسلم، فتزوج رسول اللـه – صلى اللـه عليه وسلم - ماريـة، فأنجبت له طفل ـ سماه إبراهيم، أما سيرين، فقد تزوجها الشاعر حسان بن ثابت – رضي اللـه عنه -

"تلك مُثلٌ لرسائله إلى رجالات النصرانية ومواقفهم منها. وقد ساق النبي كذلك مبعوثيه إلى رؤساء المجوسية يدعونهم إلى اللـه،

[1] [البيهقي : دلائل النبوة، ج 5، ص 4]

ويحدثونهم عن الدين الذي لو تبعوه نقلهم من الغي إلى الرشاد.. وقد تفاوتت ردودهم، بين العنف واللطف والإيمان والكفر"[1]

- **رسائل إلى زعماء العالم:**

وتابع رسول اللـه – صلى اللـه عليه وسلم – حملته العالمية، فطفق ينتقي أفصح الخطباء والشعراء والدبلوماسيين من أصحابه، ويبعثهم رسلاً وسفراء إلى الممالك والإمارات والدول والقبائل في أسيا وأفريقيا وأوربا يدعو العالَم المظلم إلى اللـه:

(1) فبعث دحية بن خليفة الكلبي – وكان أنيقًا وسيمًا، إلى قيصر ملك الرومان، واسمه هرقل.

(2) وبعث عبد اللـه بن حذافة السهمي – وكان راسخ الفكر والإيمان متحدثًا بليغًا - إلى كسرى ابرويز بن هرمز، ملك الفرس.

(3) وبعث عمرو بن أمية الضمري – وكان لبقًا ذكيًا-، إلى النجاشي ملك الحبشة، ثم بعثه النبي– صلى اللـه عليه وسلم – مرة

---

[1] محمد الغزالي : فقه السيرة، ص 274]

أخرى إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ مـدعي النبـوة، برسـالة، وَكَتَـبَ إلَيْـهِ بِكِتَـابٍ آخَـرَ مَـعَ السّائِبِ بْنِ الْعَوّامِ أَخِي الزّبَيْرِ فَلَمْ يُسْلِمْ .

(4) وبعث - فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَـانٍ -عمـرو بـن العـاص – داهيـة العـرب -؛ إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ اللـهِ ابْنَيْ الجُلَنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ، ملكي عمان.

(5) وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة ابن علي، الملك على اليمامة، وإلى ثمامـة بـن أثال، الحنفيين.

(6) وبعث العلاء بْنَ الْحَضْرَمِيّ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ.

(7) وبعث شجاع بن وهب الأسدي، مـن أسـد خزيمـة، إلى الحـارث ابـن أبي شـمر الغساني، وابن عمه جبلة بن الأيهم، ملكي البلقاء من عمال دمشق للرومان.

(8) وبعث الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيّةَ الْمَخْزُومِيّ إلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ الْحِمْيَرِيّ أحد زعماء اليمن، وقال : سأنظر .

(9) وبعث العلامة الفقيه معاذ بن جبل إلى جملة اليمن، داعياً إلى الإسلام، فأسلم جميع ملوكهم، كذى الكلاع وذي ظليم وذي زرود وذي مران وغيرهم.

(10) وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيّ، إلَى ذِي الْكَلاعِ الْحِمْيَرِيّ وَذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا وَتُوُفّيَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ.

(11) وَبَعَثَ عَيّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيّ برسالة إلَى الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمٍ بَنِي عَبْدِ كُلَالٍ زعماء من حِمْيَرَ .

(12) وَبَعَثَ إلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيّ يَدْعُوهُ إلَى الْإِسْلَامِ. وكَانَ فَرْوَةُ عَامِلًا لِقَيْصَرَ بِمَعَانَ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إلَى النّبِيّ- صلى الله عليه وسلم - بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إلَيْهِ هَدِيّةً مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ وَفَرَسٌ وَحِمَارٌ وَبَعَثَ أَثْوَابًا وَقَبَاءً مِنْ سُنْدُسٍ مُخَوّصٍ بِالذّهَبِ فَقَبِلَ - صلى الله عليه وسلم - هَدِيّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيّةً وَنِشًّا[1]

[1] [انظر هذه البعوث في : ابن هشام 4/ 25،وابن سعد 1 / 2].

وأسلم سائر هؤلاء الزعماء العالميين حاشا قيصر وكسرى وهوذة والحارث بن أبي شمر.

وهكذا، أحدث الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذه الحركة العالمية لتوصيل رسالة الإسلام وترسيخ قيمة عالمية هذا الدين في نفوس أبناء الأمة إلى يوم القيامة.. وتواصَلَ مع قيادات ورموز العالم آن ذاك..

في هذا الخطاب نلمس معالم الدعوة التي تتضمن الاختيار، وهو ما يعني إن الإسلام لم يجبر البشرية على إتباع طريق واحد أو نظام واحد كما تفعل العولمة.

والعالمية هنا هي تفتح على ما هو كوني كما يقول **الجابري** »[1] وليس احتواء العالم وهو ما تقتضيه العولمة فتاريخ الإسلام اعترف بواقع الأديان واللغات والقوميات، ولذلك عاش في المجتمع الإسلامي اليهودي و النصراني والمجوسي وسائر أهل الشرك بأمان، كما عقدت الدولة الإسلامية مع الأمم التي تعيش خارج العالم الإسلامي عدة مواثيق ومعاهدات في قضايا الحياة المختلفة،

[1] - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية . ص 17.

اعتمادا على الأساس الذي يربط العلاقات الدولية في الإسلام وهو قوله تعالى :" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم »[1].

و من دلائل عالمية الإسلام أن القران الكريم يصف الرسالة الإسلامية بأنها للعالمين و يذكر القرآن مرارًا أن كل رسول الله أرسل إلى قومه وحدهم، ما عدا **محمد** صلى الله عليه وسلم، **فنوح** أرسل إلى قومه فقط، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ}[2]، و**إبراهيم** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ}[3]، و**لوط** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى:{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ}[4]، و**هود** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً}[5]، و**صالح** أرسل إلى قومه ثمود، كما قال الله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}[6]، و**شعيب** أرسل إلى أهل مدين، قال الله تعالى: {وَإِلَى

[1] - الحجرات الآية 13.
[2] - سورة نوح: 1.
[3] - سورة العنكبوت: 16
[4] - سورة الشعراء 160
[5] - سورة هود: 50.
[6] - سورة الأعراف: 73

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}[1]، **وعيسى** أرسل إلى بني إسرائيل، كما قال اللـه تعالى:{إِنِّي رَسُولُ اللـهِ إِلَيْكُمْ}[2]، أما **محمد** فأرسل إلى جميع الناس، كما يقول اللـه تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[3]. وقوله تعالى:"إن هو إلا ذكر للعالمين"[4]

ومن مقومات العالمية حسب الأستاذ **أحمد الريسوني**[5]، أن الإسلام هو وارث الأديان فالقرآن جمع كل الكتب وصدقها بما احتوت، وادمج ما فيها في رسالته، فصارت القيم العالمية والمعتقدات العالمية التي تصلح للبشرية، كالعدل والقسط والمساواة، فهذه القيم جميعها ورثها الإسلام[6] مثال على ذلك أجمعت كل الملل والنحل على الضرورات الخمس وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل.

---

[1] - سورة الأعراف: 85

[2] - سورة الصف: 6.

[3] - سورة الأعراف: 158

[4] سورة التكوير27 أو سورة ص 68

[5] أستاذ بجامعة الرباط

[6] عبد الصمد ناصر" عالمية الإسلام" حصة تلفزيونية : الشريعة والحياة – ضيف الحلقة :احمد الريسوني- قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ 7 -8 – 2005.

يمثل الفكر الإسلامي قمة التسامح فقد أمر اللـه رسوله والمسلمين بالتسامح مع أهل الكتاب أمرهم وأمرهم أيضا بالعفو والصفح عن إساءاتهم، كما قال تعالى: {فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللـهُ بِأَمْرِهِ}[1] والعفو: التسامح في عقوبة الذنب، والصفح: الإعراض عن اللوم وتركه، وهما درجتان رفيعتان من التسامح ويحث اللـه عليهما في القرآن مرارا وتكرارا، وكان الرسول مثلا رفيعا للتسامح. وكان يقابل الاذى برفع يده إلى ربه قائلا: «اللـهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2].

وفي غزوة أُحُد جرح في وجهه وكسرت رباعيته (السن بين الثنية والناب) اليمنى السفلى بحجر وهشمت الخوذة على رأسه الشريف، ولم يؤاخذ أحدا، بل سامحهم وعفا عنهم، ورد إليهم حرياتهم، وقال: «من دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[3]. وهكذا لم يبق

(1) - البقرة: 109.

(2) البخاري 182/3، ح (3290)، كتاب التفسير، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}.

(3) مسلم 1406/3، ح(1980)، كتاب الجهاد، باب فتح مكة. ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1/ 1374-1955م، القاهرة.

في مكة قرشي-عادى رسول الله وحاربه - إلا سامحه بمجرد إعلانه لإسلامه وعفا عنه، وقال لأهلها جميعا «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

ويورد احد المفكرين ادلة العالمية فيقول " أما عن نصوص القرآن فإليك أدلة العالمية – أو بعضها - :

الدليل الأول: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً"

[الأعراف:158]

الدليل الثاني: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً"

[الفرقان:1]

الدليل الثالث: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [سبأ :28]

الدليل الرابع : " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " [آل عمران:85]

الدليل الخامس: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ{87} وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ{88}"

[ص]

---

(1) - السنن الكبرى للبيهقي، 118/9، ح (18055)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن - الهند، 1356 هـ الطبعة الأولى.

الدليل السادس:"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "

[الأنبياء :107]

وأما عن أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية فحسبك حديث " أعطيت خمسًا".

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأرض مَسْجِدًا وَطَهُورًا- فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاة فَلْيُصَلِّ-، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَ.غَانِمُ - وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي-، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " [البخاري: 323]

وقد أشار إنجيل برنابا إشارة صريحة إلى عالمية الإسلام، فجاء في الفصل الثالث والأربعين:

" الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده

فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك.

أجاب **يعقوب**: "يا معلم قل لنا بمن صنع هذا العهد، فإن اليهود يقولون بإسحاق، والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع ابن من كان داود، من أي ذرية؟ أجاب يعقوب من إسحاق لأن إسحاق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود، فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون؟، أجاب التلاميذ من داود، فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم لأن داود يدعوه في الروح رباً قائلاً هكذا قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك، فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود رباً؟، صدقوني لأني أقول لكم الحق: إن العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحاق!" **[برنابا، الإصحاح 43]**

وفي الفصل السادس والتسعين أجاب يسوع :" لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي؛ أني لستُ فيها مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله، فينجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً، حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبدد الأصنام وعبدة الأصنام. وسينزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً " **[برنابا، الإصحاح 96] .**

ولقد كان مبدأ (عالمية الإسلام) واضحًا جليًا في أذهان المسلمين الأوائل، أيام مكة، وكانت نصوص العالمية بينة في القرآن المكي، وكان منها قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف – المكية-: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً" [158].

ومن ثم شرع رسول اللـه – صلى اللـه عليه وسلم – في غرس هذا المبدأ في نفوس أتباع الدعوة في كثير من المشاهد. ومن هذه المشاهد التي دلت على أصالة هـذه القيمة – حديث خباب بن الأرث عن يوم من أيام الإضهاد في مكـة، حيـث قـال: " شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللـهِ - صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ - وَهُـوَ مُتَوَسِّـدٌ بُـرْدَةً لَـهُ فِي ظِـلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاِ تَسْتَنْصِرُ لَنَا ! أَلا تَدْعُو اللـهَ لَنَـا ! فقَـالَ رسـول اللــه – صلى اللـه عليه وسلم - : " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَـبْلَكُمْ يُحْفَـرُ لَـهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَـلُ فِيـهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَـلَى رَأْسِـهِ؛ فَيُشَـقُّ بِـاثْنَتَيْنِ، وَمَـا يَصُـدُّهُ ذَلِـكَ عَـنْ دِينِـهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَـا يَصُـدُّهُ ذَلِـكَ عَـنْ دِينِهِ، وَاللـهِ ! لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّـى يَسِـيرَ الرَّاكِـبُ مِـنْ صَـنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَـوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللـهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " [البخاري : 3343]

فلا تمام لهذا الدين، إلا بالعالمية، حـين يمتـد الإسـلام شرقًـا وغربًـا، فيـأمن الغريـب والمسافر من صنعاء إلى حضرموت .. لا يخاف لصًا ولا قاطعًا، حيـث بسـط الإسـلامُ الأمنَ في ربوع العالم .

وتأمل قول رسول اللـه : "مِنْ صَـنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَـوْتَ " .. إن رسـول اللــه في مكـة حينما حدّث بهذا الخبر، وكان من الأولى – في زعم البعض – أن يقول – على سبيل المثل – "من مكة إلى الطائف" ! والحق أن رسول اللـه يتحدث بهذا الحديث وهو لا يفرق بـين أرض وأرض، فكـل الأرض بسـاط للإسـلام، وأن الإسـلام سـينشر سـلمه وأمنه بين صنعاء وحضرموت، وسينشر سلمة وأمنه بـين مكـة والطـائف، وسـينشر سـلمه وأمنـه بـين القـاهرة والقـدس، وسـينشر سـلمه وأمنـه بـين المدينـة المنـورة وواشنطن "[1].

مرتكزات عالمية الفكر الإسلامي ودعائمه:

عالمية الدعوة: إن أعظم الأدلـة عـلى عالميـة الإسـلام هـو سرعـة انتشـاره ودخـول الكثيرين فيه في العديد من المناطق.

تجسيد وحدة النـوع الإنسـاني: يمتـاز الإسـلام بنظرتـه إلى وحـدة النـوع الإنسـاني، فالناس جميعا ينحدرون من أصل واحد.

1 محمد مسعد ياقوت "عالمية الإسلام .. دروس وعبر" www.islammessage.com/articles

وحدة الطبيعة الإنسانية: هـذه الطبيعـة أو الفطـرة الواحـدة موجـودة في النـاس جميعا، وهي التي أكد عليها قول اللـه تعالى: {فِطْرَتَ اللـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}[1].

مهمة الأمة الإسلامية ووظيفتها: الأمة الإسـلامية أمـة عالميـة يجمعهـا أمـر واحـد ودين واحد، وتكاليفها واحدة، وهي تحمل أمانة الشهادة على الناس يوم القيامـة، قال اللـه تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُـهَدَاء عَـلَى النَّـاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[2].

عالمية القيم: والقيم الإسـلامية عالميـة في ذاتهـا، مرنـة في تطبيقهـا؛ لأنهـا اسـتجابة للفطرة السوية، فقـيم العـدل والتعـاون والمسـاواة وغيرهـا قـيم عالميـة في ذاتهـا، تواضع عليهـا النـاس واصـطلحوا جميعـا، واستحسـنها العقـل الـبشري في مختلـف الأزمان، وهي واضحة في منهجها، مرنة في تطبيقها، تمتـاز بالاعتـدال والتوسـط بـين الحقوق والواجبات، وتلائم بين النـزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية.

---

(1) - سورة الروم: 30.
(2) - سورة البقرة: 143.

الفصل الثالث

الفكر العولمي ونماذجه

والآن ننتقل للحديث عن **الفكر العولمي** ونبين خصائصه ومميزاته والقيم الجديدة التي حملها هذا الفكر، من خلال الحديث عن العولمة.

- مفهوم العولمة (لغة واصطلاحا)

- مفهوم العولمة:

إن تحديد مفهوم العولمة يقتضي منا الوقوف على مفهومها لغة واصطلاحا مع تمييز هذا المفهوم بين الدارسين العرب وغيرهم من الغربيين .

- الاشتقاق اللغوي:

العولمة هي إحدى مشتقات الفعل "**علم**" "**عالم**" "**يعالم**" "**عولمة**" على وزن **فوعلة**

.

ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيرا. والعولمة لغة هي من المصادر[1] القياسية في اللغة العربية، وبالتالي هي مصطلح سليم من النحت والتركيب. وهي هنا تنوب مناب الفعل فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي الذي هو العالم هنا وبذلك يكون معنى العولمة لغة جعل الشيء مادة العولمة عالميا أو

[1]- المصدر عند الكوفيين مصدر لصدوره عن الفعل، فيما عند البصريين اصل المشتقات لصدور الأفعال عنه انظر في ذلك:أبو البركات الأنباري : الأنصاف في مسائل الخلاف -المسالة 27

على مستوى العالم[1] وبهذا المعنى » إسباغ صفة العالمية على موضوع فعل العولمة«

قدمت موسوعة الإدارة والأعمال تعريفها للعولمة على إنها "عملية زيادة الالتحام في الحضارة العالمية"[2] وكلمة العولمة لها ما يشابهها من زاوية الصيغة الصرفية في اللغة العربية، كقول المحدثين قولبة، حوسبة، عوربة، غوربة.

والعولمة لغويا هي تعميم الشيء إلى ابعد حد ممكن، وتطبيقه على أوسع نطاق .

أو هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله[3].

ويقابل المصطلح عولمة كلمة " **GLOBALIZATION** " المشتقة من "**GLOBAL**" في الإنجليزية والمقصود هنا الكرة الأرضية أو الكوكب الذي تعيش البشرية على سطحه أما في اللغة الفرنسية فهي تقابل كلمة **MONDIALISATION** المشتقة من **MONDE** ولا يرى بعض الفرنسيين حرجا من استخدام كلمة

---

[1] - إسماعيل صبري عبد الله الكوكبة:الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي ـسلسلة كتب المستقبل العربي ـالعدد:16 مركز دراسات الوحدة العربية ص44

[2] - The International Ensclopedia of business & Management.1996.vol.1.p:1649

[3] محمد عابد الجابري- العولمة والهوية الثقافية:عشر اطروحات - مجلة المستقبل العربي- العدد 228 فيفري 1998 ص:16

GLOBALISATION على اعتبار إن كلمة GLOBAL في اللغة الفرنسية لها معناها نفسه في الإنجليزية أي "الكرة"[1].

ويحمل مصطلح العولمة دلالة على قسرية الفعل أي وجود فاعل يفعل ويتجلى ذلك في صيغة"SATION"التي يتضمنها المصطلح في اللغة الأجنبية .

والمعنى اللغوي لكلمة عولمة كما توضحه بعض القواميس والموسوعات المنتشرة في كبريات المؤسسات العلمية الأمريكية يمكننا إبرازه كما ورد:

يعني إن فعل العولمة هو جعل الشيء عالمي أو تطبيقه على مستوى كوني، فمعنى العولمة من حيث الاشتقاق حسب المصادر الأوربية يدور حول جعل شيء ما على مستوى عالمي.

- **المفهوم الاصطلاحي للعولمة:**

لابد إن نشير في البداية إلى إن هناك اختلافات كثيرة بشأن تعريف العولمة، ويمكن رد هذه الاختلافات إلي كونها ظاهرة

[1] - عزت السيد احمد:انهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعها.دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب عام 2000.

متشعبة و غير مكتملة أي أنها تمثل مرحلة من مراحل التاريخ، تتطور فيها المفاهيم والآليات و تسعى إلي دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد[1].

كما إنها "**أي العولمة**" سريعة التطور، وهو ما يجعل التكهن بالمآل الذي ستبلغه صعبا للغاية. وهذا **الكسندر كينغ** يقول: "إننا وسط مخاض طويل وشاق سيؤدي بشكل أو بأخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا نستطيع إن نتكهن الآن بهيكلته" [2] بالإضافة إلى تفاوت مستوى فهم الناس لها وتباين نظرتهم لها[3] وهذا التباين يتضح جليا بين المنتج والمستهلك. فالعولمة في منظور الغرب "منتج العولمة "ليست كنظرة غيرهم من المستضعفين "الطرف المتلقي للعولمة".

كما يتضح هذا التباين بين دعاة العولمة، ومناصريها من جهة، اللذين يقدمونها على أنها نظام يحمل قيم العدل والخير والرفاهية.والرافضين لها اعتقادا منهم إنها لا تبشر بالخير ولا تخدم سوى مصالح القوى الكبرى من جهة أخرى.

---

[1]- انظر .Malcolm Water Globalization 1995. Routledge .London p .:55

[2]- انظر مجلة الفكر، المجلد 28، عدد أكتوبر 1999، ص 36.

[3]- هذا الاختلاف طبيعي بين الأفراد خاصة من زاوية رصد المفهوم، فالاقتصادي الذي يتابع التغيرات الحاصلة على مستوى الاقتصاد العالمي يحلل العولمة بخلاف الراصد لها من المنطلق السياسي وهذا الفهم قد لا نجده عند رجل الثقافة.

ويقول المحامي "**كامل أبو صقر**"متحدثا عن تعدد رؤى الأفراد واختلاف أفهامهم للعولمة: "العالم قرية صغيرة بالنسبة لرجل الأعمال، وشربة ماء لطفل في إفريقيا،وبيت لمتشرد وجرعة دواء لمريض، ولوحة ذات جمال أخاذ لفنان، وقرية الكترونية لمدمن على الإنترنت، فلكل واحد من الناس نظرة مستقلة مختلفة بالنسبة للعالم. ولكن بالنسبة للمضاربين في الأرض، والتجار والمستثمرين، ورجال الأعمال، والمال فإن العالم هو سوق. والعولمة هي حرية التجارة الدولية، التي هي في تزايد"[1]

وإذا كانت تعاريف الباحثين للعولمة متباينة، لدرجة إن بعضهم صنفها إلى مجموعات أي حسب البعد الذي ترتكز عليه[2]. مما أنتج لديهم عدة عولمات " اقتصادية وسياسية وثقافية وإديولوجية واتصالية...الخ . و نحن نورد أهمها، بغض النظر عن الإنحيازات الإيديولوجية، لأن ما يهمنا هو تحليل مضامينها "أي التعاريف

[1] - كامل أبو صقر، العولمة التجارية والإدارية والقانونية، دار الوسام، بيروت، ص48

[2]- باسم علي خريسان-العولمة والتحدي الثقافي-دار الفكر العربي ط1 سنة2001 ص:19

"والكشف عن مدلولاتها انطلاقا من رؤية أصحابها لظاهرة العولمة وتحليلهم لها .

بداية نحاول التعرض لمفهومها حسب التصور الأوربي أو الغربي لها.

يعرفها **رونالد روبرتسون Ronald Robertson** قائلا : "العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش[1] ونلاحظ هنا البعد الوظيفي للعولمة حيث يركز على أمرين أساسيين أولهما انكماش العالم ويقصد به تقليص المسافات بين الأفراد في جميع إنحاء العالم وثانيهما قضية الوعي بهذا الانكماش والإدراك الكامل بفكرة القرية الكونية لكن السؤال الذي يطرح هنا هو هل هذه القرية تنفي وجود الصراع المؤدي إلى التفكك والانقسام؟ الإجابة عن هذا السؤال مرتبطة بالأحداث القادمة والتغيرات التي تصاحب صيرورة العولمة.

ويعرفها الكاتب **الفرنسي دولفوس:** «بأنها تبادل شامل وإجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى

Ronald Robertson Globalisation 1992 .P : 08-[1]



محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهـي كظـاهرة لا تخـرج عـن دائـرة المتبـادلات الاقتصادية داخل الأسواق العالمية[1].

ويمثل **ألفين توفلر** **Alvin Toffler** الذي انفرد بمصطلح الموجة الثالثة رؤيـة أخرى في المجال فقد جعل من أهم سمات هذه الموجة المعرفة التـي تعمـل عـلى توفير الوقت والمكان سواء في أماكن التخزين أو وسائل النقل و في سرعـة التوزيـع، و الاتصال بين المنتج و المستهلك[2].

و يثبت **هانس بيتر مارتن و هارالـد شـومان**، صـاحبا كتـاب **فـخ العولمـة** إن العولمة هي "عملية الوصول بالبشرية إلى نمـط واحـد في التعبـير والآكـل والملـبس والعادات والتقاليد "[3] .

أمـا الفيلسـوف الفـرنسي **روجيـه غـارودي** فيقـول عنهـا إنهـا: «نظـام يمكـن الأقويـاء مـن فـرض الـدكتاتوريات الإنسـانية التـي

---

[1]- Jean-Pierre Warnier ,La mondialisation de la culture ; Editions la -découverte (collection Repères)Paris pp :40-42.

[2]- عبد الحكيم محمد بدران:عرض لكتاب :بناء لحضارة جديدة -تأليف الفين وهايدي توفلر- ترجمة سعد زهران -ضمن مجلة العربي -وزارة الإعلام- الكويـت -العـدد466-سـبتمبر1997م ص194 .

[3]- هانس بيـتر مـارتن و هارالـد شـومان فـخ العولمـة ص58/55 ترجمـة عـدنان عبـاس عـلي ومراجعة رمزي زكي عالم المعرفة العدد238 تشرين الأول 1998 .

تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق"[1]. وهذا تعريف يركز على البعد الإديولوجي وما تحمله العولمة من صور للهيمنة وقريبا من هذا التصور نجد تعريف الفرد فرج الذي يقول: "هي لفظ جديد لظاهرة قديمة، نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية الكترونية صغيرة ترابطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التلفزيون الدولي "[2] وهو يبين الآليات العلمية والوسائل التقنية التي ساهمت في إيجاد هذا الانكماش.

في سياق ذلك فإن **برهإن غليون** يعتبر العولمة نتيجة من نتائج التقدم العلمي و يقول في تعريفه لها: »هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية و الاقتصادية معا من التطور لحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا نحو التوحيد »[3] وهو بذلك يجعل العولمة في قمة هرم أضلعه الثلاثة هي المعلوماتية،

[1]- روجيه غارودي العولمة المزعومة ـالواقع، الجذور، البدائل. ص17 تعريب محمد السبيطلي دار الشوكاني للنشر و التوزيع صنعاء 1998م.
[2]- الفرد فرج .العولمة في مرآة الثقافة العربية. الأهرام 1998/10/15 مصر
[3]- برهان غليون.العرب وتحديات العولمة الثقافية،نقلا عن باسم علي خريسان. العولمة والتحدي الثقافي،ص21

التقنية، الاقتصاد. وبعبارة أخرى معتبرا إياها ثمرة من ثمرات التطور الحاصل على المستوى الاقتصادي و العلمي .

إن القراءة المتأنية لهذه المعادلة تجعلنا نطرح الأسئلة الآتية: من يوحد هذا المصير؟ وهل يدخل الأفراد في هذا المصير طواعية و تحت ضغط الهيمنة وشروطها أم إن قيم العدل والمساواة و الحرية التي ينشدها الجميع هي التي توحدهم؟.

إلى جانب كل التعريفات السابقة فإن هناك تعريفات أخرى تركز على المجالات التي تتجلى فيها الظاهرة كتعريف **محمد الحماد** للعولمة التي يصفها بأنها: "هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة والثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية »[1] .

وهناك تعريفات تضفي بعد الهيمنة على العولمة وتركز على الجانب الإيديولوجي منها:

1- تعريف **محمد عابد الجابري** الذي يقول: "العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي بل هي أيضا و بالدرجة الأولى

---

[1]- محمد الحماد. العرب وقطار العولمة السريع. مجلة المنتدى . العدد 156 سنة 1998 الأردن ص 16 .

إيـديولوجيات تعكـس إرادة الهيمنـة عـلى العـالم فالعولمـة هــي إذن مـا بعـد الاستعمار« وهي تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة والأمة والوطن.

كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها ودولها و أوطانها و أديانها[1].

إضافة إلى ذلك فهو يصفها بأنه: "نظام يقفز على الدولـة والأمـة والـوطن وبالتـالي فإنه يعمل عـلي التفتيـت والتشـتت وإيقـاظ أطـر الانـتماء إلى القبيلـة والطائفـة والجهة والتعصب بعد إن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن"[2] ومعنى القفز هنـا تهميش وإقصـاء لـلأدوار و إحـلال مؤسسـات العولمـة محـل مؤسسـات الدولـة في ميادين الاقتصاد والمال وهو ما يفقدها السيادة على الأرض.

كتعريف **محمـد الحـماد** للعولمـة التـي يصـفها بأنهـا: "هــي ظـاهرة عامــة يتــدخل فيهــا بشــكل أســاسي الاقتصــاد ثــم السياســة والثقافــة

---

[1]- محمد عابد الجابري.قضايا في الفكر المعاصر. العولمة. مركز دراسات الوحدة العربيـة 1997 بيروت ص:148 .

[2]- محمد عابد الجابري.قضايا في الفكر المعاصر. العولمة. مركز دراسات الوحدة العربيـة 1997 بيروت ص147.

والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية"[1] .

و هناك تعاريف يركز بعضها على مخاطرها و جوانبها السلبية ولا يرى في العولمة ما يغري بل على العكس معها يفقد الأفراد جميع القيم الأخلاقية والإنسانية وفي هذا المجال.

يقول **أبو راشد** في كتابه العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة: العولمة تعني" التعبير عن انسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي وتمركز رأس المال، وانعدام القيم الإنسانية والأخلاقية وسيادة منطق الربح والازدهار الفردي، البقاء للأقوى من خلال تجارة سوق المعلوماتية والاستلاب الثقافي للشعوب والدول و القوميات"[2].

وهذا تعريف يصنف صاحبه من المتشائمين الذين يرون العولمة إيديولوجيا للإقصاء والتهميش فقط. وتتضح نظرته جليا عندما يصف العولمة بأنها: "منظومة متكاملة من العلاقات النفعية

---

[1]- محمد الحماد. العرب وقطار العولمة السريع. مجلة المنتدى . العدد 156 سنة 1998 الأردن ص 16 .

[2] - أبو راشد عبد الله .العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة.مجلة المعلومات الدولية .السنة السادسة عدد 58 خريف1998 ص19ـ25

المتبادلة تقوم فلسفتها على الهيمنة والاختراق هي إمبريالية المنشأ والتوجه والأسلوب والوسيلة "[1]. بالإضافة إلى ذلك نجد تعريفات أخرى تعبر عن نفس البعد وينطلق أصحابها من كون العولمة فرض نموذج معين على كل الناس وفي كل مكان وهو ما يعني القضاء على الخصوصية والتنوع والاختلاف.فصادق جلال العظم يعرفها بقوله: هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[2] وهذا يعني إن العولمة تريد إن تجعل العالم عالما واحدا،موجها توجيها واحدا في إطار حضارة واحدة

ويصفها **وليد عودة** بقوله: "هي موجة جارفة من التحولات الاقتصادية والتقنية عبر العالم لا تتقيد بحدود أو ضوابط ولا يمكن التحكم بها "[3] .

و لاشك إن العولمة بهذه الصورة قد تخيف الكثيرين خاصة في ما يتعلق بالاقتصاد حيث تشير أغلب الدراسات إلى إن هناك

---

[1]- أبو راشد عبد الله .العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية.جذور- خلفيات -تحديات. الطبعة الأولى -1999. دار الحوار. اللاذقية سوريا ص:10

[2]- صادق جلال العظم. ما هي العولمة.مجلة الطريق. بيروت العدد 4 تموز/ آب 1997 ص34

[3]- وليدة عودة .التطورات الاقتصادية العالمية واتجاهات العولمة .مجلة أوراق اقتصادية .بيروت العدد13 ايلول1997 ص:193.

توقعات خطيرة تنتجها العولمة كزيادة البطالة وانخفاض الأجور، وتدهور مستوي المعيشة، وتقلص الخدمات التي تقدمها الدولة، وتفاقم التفاوت في توزيع الثروة بين المواطنين .

ويقول رئيس وزراء **ماليزيا "مهاتير محمد"** مشيرا إلى هذا التخوف: «إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلا ومساواة وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة. وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت و تدمير كثير من الناس، فإن العولمة يمكن إن تفعل الشيء نفسه ربما أكثر من ذلك، في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء »[1].

ويصب تعريف **مصطفى محمود** في نفس المصب عندما يقول: »إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته،

---

[1]- من محاضرة ألقاها في كوالا لانبور في 24 /1996/07 نقلا عن "الدين والعولمة" احمد بن عثمان التويجري ص:19 من مجلة الإسلام اليوم من عدد17/16 السنة17 2000م.

وانتمائه الديني والاجتماعي و السياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى »[1].

في الإطار نفسه يرى المفكر **المصري حسن حنفي** إن "العولمة لصالح الآخر على حساب الآنا أي الذات و قوة الآخر في مقابل ضعف الآنا وتوحيد الآخر في مقابل تفتيت الآنا »[2]. ويقول **سيار الجميل**: "إنها عملية اختراق كبرى للإنسان وتفكيره، و للذهنيات وتراكيبها، وللمجتمعات وأنساقها وللدول وكياناتها، وللجغرافيا ومجالاتها وللاقتصاديات وحركاتها وللثقافات وهوياتها وللإعلاميات وتداعياتها" [3]. نلاحظ هنا اتفاق مفهوم العولمة مع منطق الرأسمالية وإن تباين تصور المدافعين عن الاقتصاد العالمي الجديد من الرافضين له . فالحديث عن العولمة في هذه التعاريف لا يخرج عن تصور ملامح اقتصاد عالمي، موسوم بالقوة والسرعة، يشمل جميع ربوع العالم.

---

[1] - مصطفى محمود، مجلة الإسلام وطن العدد 138 ماي /جوان 1998 ص 12.

[2] - حسن حنفي ـمحمد جلال العظم ما العولمة ص20 .

[3] - سيار الجميل – العولمة والمستقبل ـاستراتيجية تفكير . الأهلية للنشر والتوزيع ط1. سنة 2000 ص32.

من هنا يمكن القول إن الرأسمالية في تطورها قد ساهمت في بلورة عولمة رأسمالية جديدة، تتفق مع الليبرالية الجديدة المعتمدة على المستوى العلمي والتكنولوجي، الذي بلغه المجتمع البشري اليوم .

أما دعاة العولمة فيعرفونها على إنها توحد عالمي وإلغاء للحواجز بين الشعوب وتحقيق للاقتراب بين الأفراد وإحداث للتوافق والتجانس وربط الجميع بوعي عالمي يتأسس على مواثيق ذات طابع إنساني.

يعرف **إسماعيل صبري** العولمة بأنها ذلك: "التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة "[1].

و هي نموذج للقرية الكونية الصغيرة التي تربط ما بين الناس والأماكن، ملغية المسافات ومقدمة من المعارف دون قيود" [2].

---

[1] - إسماعيل صبري .العولمة، هيمنة في المجالات الاقتصادية،والسياسية، والعسكرية. دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة 1999 ص43.

[2]- انظر العولمة والسيادة غضبان مبروك.

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف تجميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد يعرفها **كمال عبد الغني المرسي** بقوله : " هي اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية و اقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول "[1].

إن هؤلاء لا تفزعهم العولمة، ولا تخيفهم مخاطرها. بل هي على العكس تفتح لهم آفاقا واسعة للاتصال، وتتيح لهم الفرص لإبراز المهارات والكفاءات، التي تؤهلهم للمشاركة الفعالة. وهي ليست ظاهرة طارئة في تاريخ البشرية، بل هي ظاهرة دينامكية، تعبر عن ميل إنساني طبيعي. ونستنتج من التعاريف المذكورة إن هناك تباينا واضحا بينها، من حيث الشمولية والجزئية، ومن حيث المنطلق والهدف، وإن كانت أغلب الدراسات تركز على القوامة الاقتصادية لهذه الظاهرة، وهذا ما أعلنه **جوناثان فريدمان** عندما قال:

[1]- كمال عبد الغني المرسي، العلمانية والعولمة والأزهر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية1999، ص 93.

"إن الذي يقود حركة العولمة هو قوانين وآليات رأس المال وليس الثورة العلمية والتكنولوجية"[1] .

إن هذا الخطاب يكرسه أيضا رجال السياسة و الزعماء الكبار عندما يرسمون للعالم وضعا يرغبون التوجه نحوه وفي هذا المجال قال **الرئيس الأمريكي** السابق "**بيل كلينتون** " "في خطاب ألقاه بمناسبة ملتقى **دافوس** يوم 29 جانفي 2000، وفي بداية قرن جديد العالم برمته يجد نفسه في مفترق طرق، وليس **أوربا**، **والولايات المتحدة**، والدول الأخرى في **آسيا** فقط. العولمة ثورة في الطريقة التي نعمل بها والطريقة التي نعيش بها، وربما الطريقة التي يرتبط كل واحد بالآخر عبر الحدود القومية، فقد انتزعت الأبواب، وأشادت شبكة اتصالات بين الدول والأفراد، وبين الاقتصاديات والثقافات، علينا إن ندرك أولا إن العولمة جعلتنا جميعا أكثر حرية، وأكثر استقلالا"[2].

---

[1] -Jonathan Friedman 1995 Global système, Globalisation and the Paramètres of Modernty p: 69.

[2] -« Remarks by the President at World economic Forom » White House.Office of the press. Secretary Davos Switzerland.29 /01/2000.

نقلا عن- نايف علي عبيد.

-القرية الكونية:واقع أم خيال. المستقبل العربي عدد:260 أكتوبر 200 ص 150.

إن هذه النظرة التي تبدو تفاؤلية، ليست غريبة على رئيس حكم أكبر دولة قادت العالم ولازالت نحو العولمة التي هي في نظره ظاهرة تفرز العلاقات بين الأفراد، والأمم. وتساهم في تسارع عمليات الإنتاج باستخدام الآليات الحديثة، وتسهيل انتقال رؤؤس الأموال، بالشكل الذي يشجع المهارات و المبادرات.

خلاصة لجميع هذه التعريفات والمواقف يمكن الإشارة إلى مايلي:

1. إن بعضها يغلب عليه طابع التشاؤم المشبع بالرفض كما يتجلى في تعريف **الجابري** و**أبي راشد** و**غارودي** و**مصطفى محمود**.
2. إن آليات الرأسمالية هي التي تقود حركة العولمة.
3. هناك تعاريف تؤرخ للعولمة كما في تعريف **الفرد فرج**.
4. ارتباط العولمة بنتائج التقدم العلمي والتقني.كما في تعريف **برهان غليون** .
5. اتصاف الظاهرة بخاصية الشمول كما يجليها تعريف **محمد الحماد وإسماعيل صبري**.

6. طغيان النظرة الإديولوجية على تعريفات كثيرة منها تعريف الجابري وأبي راشد.

7. إن أغلب التعاريف تركز علي الجانب الاقتصادي على حساب جوانب أخرى. حيث تغدو الحركة الاقتصادية محور نشاط نظام العولمة التي لا تخرج عن تكثيف العلاقات الرأسمالية وهو ما يذهب إليه **سمير أمين** في مطلع كتابه: **إمبراطورية الفوضى**[1]، ويكشف المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة إن العولمة أو الكوكبة هي: "مذهب القائلين إن الرأسمالية هي ديانة الإنسانية وإن النسبية الفكرية ستكون لها الغلبة على المطلقات الأيديولوجية وإن مبدأ النسبية الثقافية هو المعول عليه وليس مبدأ مركزية الثقافات وإن العالم ينتقل حاليا ونهائيا من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية و التعددية وتشمله ثورة معلوماتية تنشر في كل مكان، من شأنها إلغاء الحدود بين الدول، بحيث يصبح من السهل انتقال الناس

[1]- سمير أمين: إمبراطورية الفوضى-ترجمة سناء ابو شقرا-دار الفرابي -بيروت-1991

والمعلومات والسلع على نطاق العالم كله ... والعولمة بهذه المعاني تقابلها المحلية....وفي العولمة رسملة العالم وتـتم السيطرة عليـه في ظـل هيمنـة دول المركز وسيادة النظام العالمي الواحد "[1] .

إن القـراءة العميقـة والشـاملة لهـذه التعـاريف تجعلنـا نميـز مجموعـة مـن المفاهيم للعولمة يمكن ضبطها كما يلي:

أ-المفهوم الفكري. و يثبت **هانس بيتر مارتن و هارالد شومان،** صاحبا كتـاب **فخ العولمة** إن العولمة هي: "عمليـة الوصـول بالبشريـة إلى نمـط واحـد في التعبـير والآكل والملبس والعادات والتقاليد "[2] .

ب-المفهوم السياسي. ويصب تعريف **مصطفى محمود** في نفس المصب عندما يقول: " إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المـواطن مـن وطنيتـه وقوميتـه، وانتمائـه الديني و الاجتماعي و السياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى " [3].

---

[1] - عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. مكتبة مدبولي . الطبعة الثالثة، سنة 2000، ص 569.

[2]- هانس بيتر مـارتن و هارالـد شـومان فخ العولمـة ص58/55 ترجمـة عـدنان عبـاس عـلي ومراجعة رمزي زكي عالم المعرفة العدد238 تشرين الأول 1998.

[3] - مصطفى محمود، مجلة الإسلام وطن العدد 138 ماي /جوان 1998 ص 12.

جـ- المفهوم الفلسفي. كتعريف **محمد الحماد** للعولمة التي يصفها بأنها :

»هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة والثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية »[1] .

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف تجميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد يعرفها **كمال عبد الغني المرسي** بقوله : »هي اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية و اقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول »[2].

د- المفهوم الإيديولوجي:

-تعريف **محمد عابد الجابري** الذي يقول: العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي بل هي أيضا وبالدرجة الأولى إيديولوجيات تعكس إرادة الهيمنة على العالم فالعولمة هي إذن ما

---

[1]- محمد الحماد. العرب وقطار العولمة السريع. مجلة المنتدى . العدد 156 سنة 1998 الأردن ص 16 .

[2]- كمال عبد الغني المرسي، العلمانية والعولمة والأزهر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية1999، ص 93.

بعد الاستعمار وهي تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة و الأمة والوطن.

كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها و ودولها و أوطانها و أديانها[1].

إضافة إلى ذلك فهو يصفها بأنه: "نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وبالتالي فإنه يعمل علي التفتيت والتشتت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد إن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن"[2]

هـ-المفهوم الثقافي. إن العولمة ليست في اعتقادي مجرد تهديد بالسيطرة على الدولة وقراراتها والتحكم بالاقتصاد من خلال التنافس على الأسواق بل أن لها أهدافا تصل إلى أبعد من ذلك بكثير فهي تطال الثقافات و الهويات القومية والوطنية وتهدد الخصوصيات، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك والقيم

[1]- محمد عابد الجابري.قضايا في الفكر المعاصر. العولمة. مركز دراسات الوحدة العربية 1997 بيروت ص:148 .

[2]- محمد عابد الجابري.قضايا في الفكر المعاصر. العولمة. مركز دراسات الوحدة العربية 1997 بيروت ص147.

والمفاهيم. وإذا كانت العولمة الاقتصادية بـارزة في مظاهرهـا العامـة فـان العولمـة الثقافية تزحف ببطء في الديار والمؤسسات[1] .

و-المفهوم الاقتصادي.

العولمة في المفهوم الاقتصادي تعني ذلك أنها :"مرحلة من مراحل تطور النظـام الرأسمال العالمي وفيه تذوب الشؤؤن الاقتصادية للدولة القومية في الإطار العـالمي دون اعتبار للحدود السياسية للدول، وفيهـا ينتقـل الإنتـاج الرأسـمالي مـن عالميـة التبادل والتوزيع إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج في ظل هيمنـة الـدول المتقدمـة والشركات متعددة الجنسـيات والمـنظمات العالميـة، وإنهـاء أي تـدخل للدولـة في النشاط الاقتصادي وتبني كل ما هو في مصلحة رأس المال الـذي يتجـه نحـو انتـاج المعلومات "[2].

كتعريـف **محمـد الحـماد** للعولمـة التـي يصـفها بأنهـا : "هـي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة والثقافـة

---

[1] - Leonard le Blanc cultiral globalization offshore nov 2001 v61 I 11 p.08

[2] د/ فتحي ابو الفضل- عزالدين حسنين – محمد القفـاص دور الدولـة والمؤسسـات في ظـل العولمة. ص29.

والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية.[1]

ز-**المفهوم الإعلامي**. في سياق ذلك فإن **برهإن غليون** يعتبر العولمة نتيجة من نتائج التقدم العلمي و يقول في تعريفه لها: "هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية و الاقتصادية معا من التطور لحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا نحو التوحيد "[2]

نعتقد أن العولمة تمثل ظاهرة تاريخية متداخلة اشد التداخل، ما زالت قيد التكوين تؤسس لمفاهيم عالمية تؤدي إلى دمج العالم وتوحيده اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وذلك برفع الحواجز و القيود أمام المال والتجارة والاستثمار والتوظيف بآليات تتحكم فيها القوى العظمى وتعبر عن هيمنة الأقوياء وفرض نفوذهم على الأطراف الأخرى من أجل تحقيق مصالحهم المختلفة.

---

[1]- محمد الحماد. العرب وقطار العولمة السريع. مجلة المنتدى . العدد 156 سنة 1998 الأردن ص 16 .

[2]- برهان غليون.العرب وتحديات العولمة الثقافية،نقلا عن باسم علي خريسان.العولمة والتحدي الثقافي،ص21

الجذور التاريخية لنشأة العولمة:

بداية لا بد إن نشير إلى إن مصطلح العولمة لم يولد في الساحة الفكرية العربية ولم يصل إلينا إلا بعد مضي قرابة عشر سنوات من الدرس والتمحيص في الغرب لذلك لم يخرج تعاملنا مع هذا المصطلح عن التلقي وإعادة الفهم والتفسير.وحتى إن نشأ هذا المصطلح في جو معرفي وثقافي غربي ساعد على احتضان المفهوم الجديد فإن ذلك لا يعني مسايرة ظهور المصطلح بالتجسيد الواقعي وهذا معناه إن ضروب العولمة سبقت ظهور المصطلح تاريخيا مثل قول الخليفة العباسي **هارون الرشيد** لغيمة سابحة في عنان السماء:« أمطري أينما شئت فخراجك عائد إلي"[1] وهو ما يعني إن العولمة بوصفها ظاهرة ليست حديثة النشأة وإنما المصطلح المعبر عنها هو الحديث.

فإذا كانت العولمة هي مصطلح التسعينات[2]، على اعتبار إنه في هذه العشرية عولج أكثر مما في السابق فإن أول من أطلق مصطلح

---

[1]- عزت السيد احمد-انهيار مزاعم العولمة .قراءة في تواصل الحضارات وصراعها-منشورات اتحاد الكتاب العرب –سوريا

[2]- نبيل علي- الثقافة العربية وعصر المعلومات العدد 276(ديسمبر2001) سلسلة عالم المعرفة ص 276.

العولمة العالم السوسيولوجي **الكندي** "**مارشال ماك لوهان**" أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة "**تورنتو**" عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية"[1] من خلال كتابه" **الحرب والسلام في القرية الكونية**"

ثم جاء بعده "**زبيغينو بريجينسكي**" الذي أصبح فيما بعد مستشارا **للرئيس الأمريكي "كارتر**" و وظف هذا المصطلح انطلاقا من امتلاك **أمريكا** لـ 75% من مجموع الاتصالات العالمية على إنها تمتلك نموذجا كونيا للحداثة[2].

إن الحديث عن الظاهرة من الزاوية التاريخية يجعلنا نؤكد بأنها ليست وليدة الساعة، ولا حتى نتيجة من نتائج انهيار القطب الاشتراكي. بل هي نتاج تراكمي لأحداث كبرى في التاريخ ولمجموعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المصاحبة لتطور المجتمع البشري. ويذهب سمير أمين متحدثا عن هذا التطور قائلا: "إن هذه الحالة الجديدة هي بداية مرحلة تاريخية

---

[1]- سيار الجميل العرب والعولمة تحرير أسامة الخولي بيروت مركز دراسات الوحدة العربية العدد 228 شباط 1998 ص6

[2]- انظر مجلة النبأ - العولمة وتجلياتها النفسية -،سعد العبيدي . العدد52 كانون الاول2001

انطلقت خلال الأعوام 1979-1991م من خلال الإخفاق التام المزدوج لطموحات أنظمة(الشرق وبلدانه) المسماة بالاشتراكية، وأنظمة (الجنوب وبلدانه) المسماة بالاستقلالية الوطنية، مختتمة عهد الحياد الإيجابي الذي عاش ثلاثين عاما، أي جيلا كاملا للفترة 1955-1985. ويتوالد اليوم عهد جديد هو عهد السوق الذي سيغدو محاولة جديدة لتوحيد العالم [1].

و قد ذكر الأستاذ "**جان شولت**[2]".. في كتابه -العولمة مقدمة نقدية- الصادر سنة1997.

مجموعة الأحداث الهامة التي ساهمت في بلورة ظاهرة العولمة منها:

- عام 1866-ظهور أول خدمة للتلغراف عبر المحيطات.
- عام 1884-إدخال التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقا لتوقيت غرينيتش
- عام 1891-أول اتصال هاتفي بين لندن و باريس.

[1]- المستقبل العربي العدد 256 ص 72.
[2]..أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ساكس.

- عام1929-أول انتقال للأموال عبر الحدود الدولية دون فـرض للضرائـب عليهـا في لوكسمبورغ.

- عام1930-أول إذاعة بالراديو في **أمريكا**.

- عام1957-إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء الخارجي.

- عام1962-بدء الاتصالات الدولية بالأقمار الصناعية.

- عام1969-صناعة أول طائرة فضائية واسعة الحجم من طراز727

- عام1971 -إنشاء أول نظام الكتروني لأسعار صرف الأوراق المالية.

- عام1972-أول مؤتمر دولي للتنمية البشرية.

- عام1974-إزالة القيود على أسعار صرف العملات الأجنبية من طرف الحكومة الأمريكية.

- عام 1976-أول بث مباشر بالأقمار الصناعية على الإطباق المقامة على سـطوح المنازل.

وقد أرخ الأستاذ "**رونالد روبرتسون**" لظاهرة العولمة حينما تكلم عن المراحل التي مرت بها الظاهرة وعددها خمسة[1]:

المرحلة الجنينية.بداية القرن الخامس عشر، تميزت بالتوسع الكنسي.

مرحلة النشوء. منتصف القرن الثامن عشر، انتعاش مفهوم العلاقات الدولية.

مرحلة الانطلاق. القرنان 20/19 الاتجاهات الكونية الكبرى.

مرحلة الصراع من اجل الهيمنة.1970/1940 بروز الأمم المتحدة وبداية الصراع من اجل الهيمنة.

مرحلة عدم اليقين 1990/1970 الإدراك الكامل بعالمية العالم.

إن هذه المراحل تظهر الخلط بين مفهوم العالمية كتاريخ لفكرة التوسع والهيمنة ومفهوم العولمة كظاهرة معاصرة تبدو كمحصلة للمنجزات التاريخية المختلفة وهي بهذا ظاهرة برزت مع نهاية القرن العشرين[2].

---

[1]- RONALD ROBERTSON - GLOBALISATION 1992- P 08 .

[2]- سيار الجميل ـ العولمة والمستقبل ـ ص99.

يعتقد **حسن حنفي** في تأريخه للعولمة أنها تمثل أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة[1]. "ويربطها بمظهرها الأساسي باعتبارها تمثل تكتلا اقتصاديا للقوى العظمى للاستثمار بثروات العالم ومواده الأولية و أسواقه على حساب الشعوب الفقيرة "وفي هذا الصدد يقول: "بدأ النهب الاستعماري للسكان من أفريقيا والثروات من **آسيا** و **أفريقيا** والعالم الجديد لتكوين الإقطاع الأوروبي في عصر الإصلاح الديني في القرن 15 ثم النهضة في القرن16 ثم العقلانية في القرن 17 حيث تحول لقطاع إلى ليبرالية تجارية ثم جاء عصر التنوير الأوربي في القرن 18 ثم الثورة الصناعية في القرن 19 حيث النهب الاستعماري الثاني في صورة الاستعمار القديم **لإفريقيا** و **آسيا** في القرن العشرين. وبعد عصر التحرر من الاستعمار في هذا القرن بدأت أشكال الاستعمار الجديد في الظهور باسم مناطق النفوذ والأحلاف العسكرية في عصر الاستقطاب، والشركات المتعددة الجنسيات،

---

[1]- حسن حنفي وصادق جلال العظم ـ ماالعولمةـ دار الفكر سوريا سلسلة حوارات لقرن جديد الطبعة الاولى1999 ص40.

واقتصاد السوق ومجموعة الدول الصناعية الكبرى، والعالم قرية واحدة. إن كل هذه المظاهر لها عنوان واحد هو العولمة.

وهكذا تعبر العولمة عند حنفي عن مركزية دفينة في الوعي الأوروبي تقوم على عنصرية عرقية وعلى الرغبة في الهيمنة والسيطرة[1].

وهناك دراسات أخرى قريبة من هذه ترى بأن العولمة بدأت بعد هزيمة الدولة الإسلامية في الأندلس وبروز إسبانيا والبرتغال ثم بروز هولندا وبريطانيا وحدوث التحول التجاري ثم جاءت العولمة في توجهها الأوروبي وما تمخض عنها من استعمار ثم تلتها العولمة التي تقودها القوة الأمريكية التي نعيشها الآن[2].

في اعتقادنا إن العولمة ظاهرة حديثة النشأة في مصطلحها ولكن ملامح مضمونها بدأ يتشكل قبل منتصف القرن الماضي أما العوامل التي ساهمت في بروز العولمة بالصورة التي هي عليها الآن فهي:

---

[1]- حسن حنفي وصادق جلال العظم ما العولمة. دار الفكر سوريا سلسلة حوارات لقرن جديد الطبعة الاولى1999 ص:42.

[2] إنظر-طه حسيب- جريدة الاتحاد العدد9437 الاثنين 2001/5/7 العولمة وتأثيرها في المجتمع والدولة .

تزايد دور وأهمية المنظمات الدولية المؤثرة في الاقتصاد مثل: "**صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، المنظمة العالمية للتجارة** ".

- ✓ اندماج أسواق المال مع بعضها.
- ✓ تغيير مراكز القوى الاقتصادية العالمية .
- ✓ تغيير هيكل الاقتصاد العالمي.
- ✓ انهيار الاتحاد السوفيتي والأنظمة الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية.
- ✓ انتصار النظام الرأسمالي باستعادته الهيمنة و الإنتشارية المؤسسة على اقتصاد السوق.
- ✓ ثورة المعلوماتية والانترنت.
- ✓ تطور وسائل النقل والمواصلات.
- ✓ انتصار الحريات الإعلامية على الإعلام الموجه.

وقد ذكر الأستاذ محمد القفاص في كتابه (**دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة**) الذي ألفه رفقة فتحي أبو الفضل

وعز الدين حسنين أربع مراحل مرت بها العولمة في تطورها وهي كالأتي[1]:

<u>**المرحلة الأولى**</u>: بدأت منذ بداية الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والتي تمثـل الاشتراكية بقيادة **الاتحاد السوفيتي**، والكتلة الغربية والتي تمثل الرأسمالية بقيـادة **الولايات المتحدة الأمريكية**، وفيها احتدم الصراع بين الكتلتين، هـذا الصراع كـان في الأساس صراعا إيديولوجيا، وأخذت كل منهما في نشر وتعميق مفاهيم النظام الذي تؤمن به ومحاولة كسب تأييـد المجتمـع الـدولي بإظهـار عيـوب الآخـر، وفي هـذه المرحلة كان هناك توازن في القوى السياسة العالمية.

<u>**المرحلة الثانية**</u>: بدأت منذ بداية التسعينات من القرن العشريـن وفيها انهارت واحـدة مـن اكـبر قـوتين كانتـا تحكـمان العـالم وهـي **الاتحـاد السـوفيتي** معقـل الاشـتراكية، كـما بـدا مصـطلح العولمـة في الظهور لأول مرة عندما ذكره الرئيس **الأمريكي جورج بـوش** الأب

---

[1]-د/ فتحي أبو الفضل، عز الدين حسنين و محمد القفاص – دور الدولة والمؤسسـات في ظـل العولمة دار النشر. ط 2004.ص27/26.

في خطاب له عام 1992م، وبدأت العولمة تنمو وتزداد وضوحا، وعكف المفكرون بجميع إنحاء العالم على محاولة تعريفها وتحديد مظاهرها وآثارها والقوى الفاعلة فيها واستمرت القوى الغربية، وخصوصا **الولايات المتحدة الأمريكية** في التنظير لها والإعداد للهيمنة على مقدرات الدول باستخدام كافة الطرق على جميع المستويات سياسيا واقتصاديا و ثقافيا.

المرحلة الثالثة: وبدأت منذ عام 1999م بفشل المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية في مدينة **سياتل** الأمريكية وقيام مظاهرات ضد العولمة في معظم بقاع الأرض والتي عبرت عن رد فعل شعوب العالم تجاه العولمة الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية.

المرحلة الرابعة: وبدأت منذ 2001/09/11 عندما تم توجيه سلسلة ضربات مدمرة لمركز التجارة العالمية في **نيويورك**، ومبنى **البنتاغون** في **واشنطن**، حيث تعتبر مثل هذه الهجمات أول ضربة عنيفة تتعرض لها **الولايات المتحدة الأمريكية** طوال تاريخها.

القيم الجديدة للفكر العولمي :

لقد روجت العولمة لقيم أخلاقية جديدة تختلف عن القيم الأخلاقية التـي تشـترك فيها الإنسانية، وأعطت بهذه القيم المبررات الفلسـفية لسـيادة مبادئهـا، فـما هـي هذه القيم؟

إن أساس الأخلاق كما يقول علـماء الأخـلاق هـو العـدل. وجـوهر العـدل هـو الكف عن المظالم. فإذا اخذ الإنسان حقه كاملا" وأعطى الغير حقـه موفـوراً سـمي عند الأخلاقيين عادلا" ومنصفا". ومن صفات الحـاكم العـادل إعطـاء كـل ذي حـق حقه، ومن صفات العدل ألا يرضى الإنسان لنفسه بشيء إلا ورضي للناس بمثله. أين تتجلى هذه الأسس الأخلاقية الدينية والإنسانية التي أكدت عليها الخـبرة البشريـة منذ أقدم العصور في قاموس المؤسسات الدولية الاقتصادية والسياسية التي تقـود العالم في إطار ما يسمى بالعولمة .

- **في مجال الاقتصاد:**

يختزل الاقتصاد إلى ما هو "مادي" ولكـن هـذا الاختـزال غـير صـحيح. "إذ لا الربحية ولا الاستهلاك غايـات في حـد ذاتهـا كـما أن دعمهـا لـيس

الهدف النهائي لآلية العرض والطلب ويخدم الاقتصاد كل أنواع القيم في حياة الإنسان" وهدفه النهائي هو تطوير الإنسانية المتكامل. وإذا ما لم يستهدف الاقتصاد هذا التطوير، فانه يدمر نفسه على الأجل الطويل.

إن سوءات الاقتصاد هنا ليست في طبيعة الاقتصاد ذاته ولا ترتبط بالنمو الذي يحتاجه الإنسان في تطوير حياته وتحسين نوعيتها. ولكن عندما يؤدي هذه النمو في ظل العولمة، إلى هيمنة الشركات الكبرى على المقدرات المالية العالمية، والى افقار لمعظم سكان هذا الكوكب فإنها تصبح لا أخلاقية وعندما تدفع بالمزيد من البشر الى الشارع، حيث لا عمل ولا مأوى، ولا طعام فإنها تكون أيضا لا أخلاقية. "فهذا التقديس لانتشار العلاقات السلعية، الذي يشكل ماهية نظامنا الاقتصادي، أي البحث الدائم عن الربح.. لا يتوافق مع القواعد الاجتماعية، فجني المال من اجل المال.. يخالف الخير العام[1].

[1] - طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟ " www.islamset.com/arabic .

- **في مجال السياسة:**

يواجه "المجتمع الدولي" مشكلة التلازم المفترض بين الأخلاق والسياسة الذي دعت إليه فلسفة **روسو وكانط**. إن النموذج الذي يقدمه المجتمع العالمي سواء من خلال مؤسساته الدولية أو شركاته الكبرى، أو دوله المهيمنة إلى شعوب العالم الأخرى، ليعلمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كيف تتنكر لمبادئ حقوق الإنسان، وكيف تنقلب على عهودها، وكيف تحتمي خلف قوتها ، وكيف تغض البصر عن الظلم هنا وتدعي الدفاع عنه هناك.. وهكذا إلى السلوكيات السياسية التي يلخصها شعار "الكيل بمكيالين" التي تتذّمر منها دول عربية وإسلامية كثيرة عندما تريد توصيف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. ولن اضرب الأمثلة عن فقدان هذه الأخلاقيات في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فالوقائع أكثر من أن تحصى حول الانحراف الأخلاقي للأمم المتحدة وللولايات المتحدة، ولمعظم العالم الغربي حول هذه القضية في تبرير الجرائم الإسرائيلية، وفي غض النظر عما يقوم به الجيش الإسرائيلي وفي تحميل الطرف الفلسطيني دائما" مسؤولية ما يجري من تعطيل التفاوض.

وهناك مثال أخر أعطت من خلاله الإدارة الأمريكية شرعة أخلاقية وقانونية لشنها الحرب على أفغانستان بحجة البحث عن المشتبه به الرئيسي في عمليات 11 سبتمبر أننا لا نعلم أي شرعة أخلاقية أو قانونية تجيز إعلان الحرب وقتل ألوف المدنيين للقضاء على "مشتبه به". أما ملف حقوق الإنسان الذي ترفعه الولايات المتحدة ضد من شاءت فهو يثير السخرية فقد استعملته ضد روسيا على أساس"الإفراط الروسي في استخدام القوة" في الشيشان، وانتهاك حقوق الإنسان واستهداف مواقع مدنية. وبحجة أن غياب الحل السياسي والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان تخلق جوا يساعد على الإرهاب ما يدعو إلى السخرية هنا أن الولايات المتحدة لا تطبق هذا المفهوم نفسه على إسرائيل التي ترفض التفاوض، وتقتل المدنيين وتشرد ألاف السكان، كما أنها لا ترى ما فعلته في أفغانستان انتهاكا لحقوق الإنسان بعدما قتلت نحو خمسة ألف مدني ودمرت بيوت الناس فوق رؤوسهم والأمثلة على هذا الانحراف الأخلاقي في المعايير السياسية كثيرة جدا.

- **في مجال الثقافة:**

إن المفاهيم والقيم التي تبثها الثقافة ليست مباشرة في معظم الأحيان، وإنما تحصل بالتراكم البطيء والهادئ بحيث يشعر الإنسان بمرور الوقت أن مفاهيمه قد تبدلت وان القيم التي يحملها تجاه قضايا كثيرة قد تغيرت. لقد ساهمت ثورة الاتصالات التي جعلت للتجارة بعدها العالمي هي التي حملت القيم الجديدة والعادات والأفكار، وهي التي ساهمت في تغيير عادات الناس وأذواقهم واتجاهاتهم. إن التدهور الأخلاقي يبرز جليا" في المجال الثقافي على مستوى السلوك والقيم، ويحتل "الثنائي" (الجنس والعنف) مساحة ثابتة في كل وسائل الاتصال القديمة والحديثة بأشكالها المختلفة، وحذّر الكثير من الخبراء من إخطارها، وتصاعدت الشكوى من أثارها في أنحاء العالم كافة، بما فيها دول الشمال نفسه. فإذا تأملنا المخاطر الناجمة عن الترويج للجنس وللعنف بعيدا عن كل الضوابط الأخلاقية وحتى المنطقية أدركنا حجم المخاوف التي تحيط بعالمنا الإنساني كله، من جراء هذا التهميش الذي تتعرض له القيم الأخلاقية .

4 - في المجال الاجتماعي:

أصبحت ظاهرة الفساد منذ العقد الماضي من أهم الظواهر الخطيرة على المجتمعات.وبغض النظر عن السبب الرئيس وراء شيوع الظاهرة الذي يرجعه البعض إلى ضعف الوازع الأخلاقي العام، ويرعه آخرون إلى تراجع شرعية الدولة كتجسيد للمصلحة العامة بعد ما فقدت سيطرتها الكلية في زمن العولمة، وذوبان القيم الجماعية التي ينشدها الأفراد في البحث عن الفائدة والمصالح الأنانية والخاصة التي فلسفة الشركات متعددة الجنسيات. وقد بيّنت بعض الدراسات[1].

إن المجتمعات الحديثة تشهد تراجعا" أخلاقيا" هو الذي يشجع على الفساد واتساع مجالاته. وابرز مظاهر هذا التدهور ومخاطره هي تضخم ظاهرة الفردية بأشكالها كافة، والتداعيات التي نجمت عنها من الانكفاء على الحياة الخاصة والابتعاد عن الآخر، وعدم الاهتمام بالتضامن الاجتماعي والاستغراق في الذاتية، وما ينى على هذه الفردية من أفكار أو فلسفات تقوم على نفي أي حق للمجتمع في

[1] طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟ " www.islamset.com/arabic

التدخل في شؤون الفرد وفي حياته الخاصة، والمفارقة هنا تكمن في أن العولمة وحدت العالم من جهة فجعلته كما يتردد قرية كونية، أي مكانا صغيرا من دون حواجز بسبب الدور الذي لعبته وسائل الاتصال في التعرف إلى العالم وشعوبه عن كثب. بينما دفعت هذه العولمة من جهة ثانية حياة الناس، إلى العزلة والانطواء بسبب تضخم الفردية التي أشرنا إليها. والمفارقة الثانية في هذا الإطار، إن العولمة ما كان بمقدورها أن تعمل إلا لأنها ورثت سلسلة من الأنماط السلوكية والأخلاقية من المراحل التي سبقتها، كما انتشرت مواقع القمار على الانترنت التي يتوقع أن تصل إيراداتها في الأعوام القليلة المقبلة إلى نحو ستة مليارات دولار..وفي أوروبا كان عام2000 عاما" اسود بكل معنى الكلمة، فتجارة المخدرات والسجائر، والأدوية التي غالبا ما يكون تاريخ صلاحيتها قد انتهى منذ أشهر، وقطع الغيار غير الأصلية والألبسة التي تم تزوير ماركاتها، والسيارات المسروقة، خصوصا الفخمة منها، وترويج عمل شبكات الدعارة، إضافة إلى التهريب المنظم لليد العاملة عبر الحدود. كما تدر تجارة الأسلحة غير المشروعة والتهريب بأنواعه كافة مبالغ ضخمة سنويا.. ويقدر صندوق النقد الدولي حجم تبييض الرساميل بين 2 و5% من إجمالي ناتج الدول القومي العالمي، أي ما

يوازي قدرات اقتصاد بلد كإسبانيا أو فرنسا مثلا.. ويراوح دخل معتمدي تهريب اليد العاملة من الدول الفقيرة إلى الاتحاد الأوروبي وبحسب تقارير الأنتربول بين 3 و4 مليارات دولار[1].. ولا تقل تجارة الدعارة أهمية في اقتصاد الجريمة منذ انهيار جدار برلين في بداية العقد الماضي.

نتساءل في خلاصة هذا الفصل فنقول هل يمكن في ظل هذه الأرقام التي جناها أصحابها من فساد عابر للقارات أن يعيدوا إنتاج القيم على هذه القاعدة الوحيدة التي اعتمدها أصحاب هذه الأموال؟ إذا كان الأمر كذلك، فعلى جميع من يعمل في أي قطاع كان أن يجعل الحصول على المال، والمال فقط نصب عينيه. أي أن على القضاة، على سبيل المثال ،أن يبيعوا قرارات المحاكم في المزاد العلني، وان على المدرسين أن يعطوا العلامات الجيدة لمن يدفع أكثر من أولياء التلاميذ.

---

[1] طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟ " www.islamset.com/arabic .

نماذج من الفكر العولمي المهيمن:

نورد في هذا المقام مجموعة من الصور المعبرة عن الخطاب العولمي الذي يسوغ لنفسه الهيمنة في مجالات مختلفة وتحت أفكار متعددة ومن ذلك:

فكرة " نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما:

فكرة نهاية التاريخ هي أصلها فكرة غربية تتحدث عن التحرر العقلي والمعجزة الليبرالية في تجليها الأوربي والأمريكي وترتبط بزمان محدد، يبدأ حسب الدكتور فيصل دراج بالعصر اليوناني أي أن التاريخ في رأيه يبدأ بالمعجزة اليونانية وينتهي بالعقل الأوربي الحديث وبالمعجزة الأوربية الليبرالية الحديثة، وهي بذلك ترجع التاريخ إلى زمن مغلق يحدد البداية والنهاية، باعتباره تاريخا كاملا مطلقا ومثاليا[1].وترجع الفكرة إلى مروجها فرنسيس فوكوياما الذي

---

[1]- فيصل دراج،" النظام الدولي الجديد وايدولوجيا " نهاية التاريخ" - الطريق العدد 04 أوت 1995.

عالج كما اعتقد قضية "التوافق الكامن في النظام الرأسمالي اللبرالي"[1].

لقد أكد فوكوياما في أطروحته هذه أن العالم بعد انهيار المعسكر الشيوعي قد اتجه نحو نهاية التاريخ بانتصار النموذج اللبرالي الأمريكي داعيا إلى تعميم الديمقراطية الغربية بوصفها الشكل النهائي للحكم الإنساني. و هذه الأفكار تمثل محاور مشتركة بين أطروحة نهاية التاريخ والأفكار الرئيسية المحركة للعولمة[2].

قبل الحديث عن كيفية انتهاء التاريخ و إمكانية ذلك نتساءل عن ما المقصود بالتاريخ؟ إن التاريخ الإنساني معناه حركة الإنسان في الزمن و الزمن قيمة نسبية.

فالتاريخ إذن لن ينتهي إلا باختفاء الإنسان من الوجود وهنا نقول مع توينبي: "هو الحقبة الكاملة لحياة الإنسان في الأرض"[3].

---

[1] فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت،الطبعة الاولى، 1993 ص: 15

[2] محمد حسين ابو العلا، دكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الاولى 2004 ص: 170

[3]- توينبي أرنولد، ترجمة فؤاد محمد شبل، مختصر دراسة التاريخ، الجزء الأول. ص 69-70.

وهذا معناه حسب **ماكس غالو**- ليس تتاليا للأحداث المختلفة التي يصنعها البشر[1] ولا تسلسلا للوقائع التاريخية بما تحمله من ظواهر اجتماعية، بل التاريخ حسب **أرنولد توبني** هو:" الفترات التي أنتجت الحضارات...والتي لا تغطي سوى اثنين في المائة من تلك الحقبة الكاملة لحياة الإنسان في الأرض. إن ما ندعوه تاريخا إن هو إلا تاريخ الإنسان في مجتمع متمدين."[2]

لقد كان سقوط جدار برلين عام 1989 الفرصة السانحة التي استغلها "**فرنسيس فوكوياما**" مستفيدا من الدعاية الأمريكية للطرح الهيجلي، ليعلن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، بأن الليبرالية السياسية قد انتهت كأيديولوجية نهاية تحمل النظام الرأسمالي كنظام مثالي. وقد ورد"انتهى التاريخ في 1806، هذا يعني أن التطور الأيديولوجى للإنسانية اكتمل مع مبادئ الثورات الأمريكية والفرنسية إن الحقيقة النظرية لهذه المبادئ تبقى مطلقة

---

[1]- عبد الفتاح فكهاني" الهيمنة الأمريكية تثير نقاشا فلسفيا" في باريس يتحدثون عن نهاية التاريخ. جريدة القلم المغربية 1992/02/13- ص 03.

[2]- توينبي أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ص 69-70.

ولن يمكن تجاوزها أبدا حتى وإن لم تستطع بعد بعض النظم المعينة تجسيد هذه المبادئ في الواقع العيني.

فالدولة المتجانسة ستنتصر بالفعل طال الزمن أم قصر"[1]. ويضيف قائلا: "إن الإنسانية قد دخلت مرحلة ما بعد التاريخ فالخلافات الدولية على نطاق كوني كالحروب العالمية من أجل هيمنة وانتشار فكرة ذات بعد كوني وقادرة على تعبئة الإنسانية أمر غير وارد"[2].

وهكذا يستبعد **فوكوياما** تلك النزاعات الحربية التي سادت التاريخ الغربي خلال القرون الأخيرة فلا إديولوجيا الآن بعد أن هيمنة الدول الصناعية بقيم العالم الحر كالديمقراطية وحقوق الإنسان، واقتصاد السوق. وإن كانت نهاية التاريخ لا تعني حسب **فوكوياما** اضمحلال كل التناقضات والنزاعات العرقية والأصولية وبقايا بعض الإديولوجيات المتواجدة في الجنوب أو الشمال[3].

---

[1]- قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية متعددة وعولمة إنسانية، ص: 443.

[2]- " المرجع نفسه "ص: 443.

[3]-حمادي الرديسي، " اللحظة الفلسفية في فهم التحولات العالمية " -ص11.

إن أطروحة "نهاية التاريخ"[1] من أهم الأطروحات التي تشكل المرتكز الرئيسي لخطاب العولمة[2] وتبرز الفكرة الفلسفية الهيغلية القائلة باكتمال حركية التاريخ من حيث تطابقه الجدلي مع العقل المطلق الذي تجسده موضوعيا الدولة الليبرالية الجديدة التي حققت المبادىء السامية للعقل و جسدت الحرية بتعميمها لاقتصاد السوق .[3] كما اعتمد فوكومايا في بحثه على أراء سان سيمون 1760-1825 في نظرية التقدم المؤدية إلى إنسانية ثرية منعمة بالسلم و الأمان باعتمادها على أمرين هما الصناعة و العلم. فقد تفاءل **سان سيمون** بتحقيق حلم الازدهار و التطور . بعد ملاحظته لعناصر فكرته و هي : التطورات الهامة التي شهدتها انجلترا في نهاية القرن الثامن عشر، و بداية القرن التاسع عشر.

1. الثورة الصناعية التي أدت إلى مزيد من الرخاء آنذاك.
2. التجارة الحرة التي واكبت تلك الثورة

---

[1] هذه الاطروحة جاءت بعد انهيار النظام الاشتراكي

[2] انظر السيد ولد اباه ، اتجاهات العولمة، إشكالات الألفية الجديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب طبعة2001 ص: 112

[3] GEMDEV cordonné par Michel BEAUD, Oliver DOLLFUS, Christian GRATALOUP, Philippe Hugan , Gérard KEBABDJIAN,Jacques LEVEY -la mondialisation , les mots et les choses ,édition karthala, 1999, Paris, P :33

3. ازدهار الصناعة في جو الأمن و السلام.[1]

وهذا المناخ هو شبيه بالذي جعل **فوكومايا** يخرج بنبوءته بالقول:

1. سقوط الكتلة الشيوعية

2. نهاية الحرب الباردة

3. توفر مناخ في الأمن لازدهار الصناعة

و يلتقي **فوكومايا** مع **سان سيمون** في عدة افكار أخرى أهمها:

1. تبني الحضارة الإنسانية على أساس علماني.

2. رواد العولمة " منظمة كونية " هم رجال الصناعة و العلم.

3. تتحقق وحدة العالم باتخاذ نخبة رجال الفكر و رجال الصناعة مع إقصاء رجال الدين.

4. إذا كانت السياسة علما و التاريخ علما و بالتالي قوانين تطورهما معلومة يمكن التنبؤ بالمرحلة القادمة للإنسان، وهذه الفكرة يتلقى بها أيضا مع هيجل الذي حكم بنهاية التاريخ على أساس هذا المفهوم .[2]

[1] صامويل برنستين، "فلسفة سان سيمون للتاريخ "، ص: 73

[2] عبدالله عثمان التوم، عبد الرؤوف محمد ادم، العولمة دراسة تحليلية نقدية .ص:69

كما اعتمد فوكوياما على بعض الأفكار الفلسفية الأخرى كفكرة الكونية باعتبارها اديولوجيا النزعة الإنسانية الجديدة. واديولوجيا الليبرالية الجديدة التي تصنعها النظرة الاقتصادية وكذلك اديولوجيا المعلوماتية التي تصنعها النظرة التقنية.

- **نقد الفكرة وإبراز مخاطرها:**

يمثل كتاب " **نهاية التاريخ و خاتمة البشر** " لفرنسيس فوكوياما واحدا من أكبر الكتب التي مثلت دعاية سياسية لتسويق نموذج العولمة أثر سقوط المذهب الشيوعي، وقيادة النظام العالمي من طرف الولايات المتحدة الأمريكية . و فضلا عن ذلك فان الكاتب يتعامل مع موضوع ذي اهتمامات إنسانية.

والتحليل المتفحص لهذا الكتاب يكشف لنا على بعض الأخطاء التي فاته الانتباه إليها و منها :لقد نسي فوكوياما أن يقدم لنا الأدلة القاطعة التي تكشف بان الليبرالية الغربية تمثل الصيغة الشاملة والكاملة التي تحقق لجميع الأفراد رغباتهم و حوائجهم وتشفي ما بداخلهم .

إن البحث الذي قدمه **فوكوياما** اتخذ منحنى سياسيا، لقد دشن بفترة العـودة إلى هيمنة القطـب الواحـد "تنصـيب لـيس فقـط الرأسـمالية لكـن أيضـا النسـخة السلطوية المقدسة الواقعة من عولمة ما بعد جدار برلين على العرش"[1] ولا يعكـس واقع الأمر خلافا **لكوجيف** " الذي ركـز عـلى فلسـفة **هيجـل** و فسرهـا باحثـا عـن الحقيقة لا مروجا لنزعة أو لمذهب، و المنحنى السياسي لفوكوياما أدخله في دائـرة التحيز لمطالب و طموحات السياسيين و جعله يخلط الفلسفة بالاديولوجيا .

إن **فوكوياما** أراد أن ينفخ روحا جديدة في فلسفة هيجل فاستهل وصف أنه " يصب خمرا قديما في كوب جديد"[2] فإذا كان هيجل تنبأ بنهاية التـاريخ مـع الدولـة اللبيرالية الجديدة. و جاءت الثورة البلشفية التـي قصـمت نبوءتـه. و إن أوجـدت هذه الثورة المبرر فـان فوكويامـا ابـرز تحقـق مبـادئ الدولـة السـامية في صـورتها الليبرالية متخذا من التجربة الأمريكية مثـالا واقعيـا يـنعكس فيـه مبـادئ الحريـة

[1] تـوم نـيران، نهايـة العـالم الحـر، 1 كـانون الاول 2004 مجلـة المنتـدى الـديمقراطي المفتـوح http://www.opendemocracy.net

[2] عبدالـلـه عثمان التوم، عبد الرؤوف محمد ادم، العولمة دراسة تحليلية نقدية ا، ص:65

و المساواة و الاعتراف بحقوق الإنسان. و بلوغ ما يسمى بالدولة المتجانسة و هي هدف جميع الدول و بتحقيق هذه النتيجة . ينتهي التاريخ و تعيش الأجيال اللاحقة في مرحلة ما بعد التاريخ لكن ما رأي فوكوياما في الصراعات والحروب المنتشرة هنا وهناك وهل انتهت العصبيات القومية من التأثير في حركة التاريخ؟ وبعد كل هذا أليست الأحداث المروعة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في 11/9/ 2000 تبطل نبوءة فوكوياما كلية ؟

و فضلا على كل ما سبق ذكره هل حقا تمثل الولايات المتحدة الأمريكية الدولة المنسجمة؟

هل زالت العنصرية ؟ وهل زالت الرشوة مع صانعي الإمبراطورية الاقتصادية؟ وهل امتدت جسور المحبة لتشمل كل الأفراد ؟ و هل زال الفقر والخوف ؟ هل تحققت الرفاهية للبشر؟ إن البشر لن يكتفوا بالرفاهية الاقتصادية وإنما يتطلعون دائما إلى ابعد من ذلك وببلوغ تأثير سياسة الليبرالية مداه على الأفراد في الدول النامية والفقيرة حيث انتشار البطالة وزيادة نسبة الفقر، و نقص الخدمات الاجتماعية كالصحة و التعليم، والإحساس بالتبعية والظلم، وهو

شعور شمل أيضا الفقراء و محدودي الدخل و حتى الطبقة المتوسطة في الدول الصناعية الكبرى . و هو ما شكل جمهور مناهضة العولمة و مقاومتها . وقد قام أنصار هذه الحركة بالعديد من المظاهرات والانتفاضات المقاومة للعولمة. منها عام 1994 في المكسيك انتفاضة الفلاحين ضد الحكومة المكسيكية التي وقعت لتوها اتفاق النافتا (المنطقة التجارية الحرة لأمريكا الشمالية)عام 1995 مظاهرات الطلبة في فرنسا احتجاجا على ارتفاع تكاليف التعليم.

عام1999 في الولايات المتحدة الأمريكية (اجتماع الآلاف من البشر للتنديد والاحتجاج على اجتماع منظمة التجارة العالمية المنعقد آنذاك بمدينة سياتل.

- عام 2001 في جنوا بايطاليا تجمع ما يزيد على 300ألف من مناضلي حركة مناهضة العولمة

- عام 2002 في لندن 100ألف مطالبين بالحق الفلسطيني.

- عام 2002 في فلورنسا مليون متظاهر على هامش المنتدى الاجتماعي الأوروبي.

ليست العولمة سوى تطبيق للهيمنة الفردية و فرض لسيطرتها تحت مسميات مختلفة (الشرعية الدولية أو النظام الدولي الجديد)

لقد تغذت " فكرة نهاية التاريخ باعتبارها الوجه الآخر لمركزية الأوربية الحديثة وقوامها تأكيد السيطرة الأوربية عالميا، وتهميش المناهض لها عالميا أيضا"[1] من الفلسفة السابقة التي تشيد بفكرة التمركز حول الذات الأوربية الغربية كما قال توينبي[2]. وتشيد بقيم التفوق كما ذهب إلى ذلك "**دافيد هيوم**"[3]: "تشكل الأمم الأوربية هذا الجزء من الكرة الأرضية الذي يقتات بشعور الحرية، والشرف، والإنصاف، وبقيم تتفوق على قيم البشرية جميعا "[4].

إن فكرة نهاية التاريخ التي زعم بها فوكوياما عام 1989 عند إيذان انهيار الكتلة الشيوعية ليست سوى "بيان مناهض للشيوعية"[5] وهي فكرة تحاول في جوهرها أمركة العالم و إيجاد

---

[1]- فيصل دراج،، ص 5-6.

[2]-أرنولد توينبي- الجزء الأول. ص61.

[3]-فيلسوف إنجليزى.

[4]- (فيصل دراج "النظام الدولي الجديد وإيديولوجيا نهاية التاريخ")" ص 10..

[5] توم نيران- نهاية العالم الحر 1 كانون الأول 2004 مجلة المنتدى الديمقراطي المفتوح http://www.opendemocracy.net

المبررات لإحكام سيطرة الولايات المتحدة على غيرها سياسيا و عسـكريا و ثقافيـا و إعلاميا.

و خلاصة القول أن نهاية التاريخ[1] ما هي سوى محاولـة نظريـة لتسـويق النمـوذج الليبرالي ومن ثم تبرير وجود العولمة بفرضها للرؤية الأحادية في الثقافة و الفكر و السياسة و الاقتصاد .

أطروحة صراع الحضارات لصامويل هنتغتون:

- الأسس الفكرية لأطروحة صراع الحضارات:

ترتبط أطروحة "**صراع الحضارات**" بمقالة المفكر و السياسي الأمريكي "**صامويل هنتغبتون**[2]" و التي تداولتها الأدبيات الصحفية في أمريكا و العالم قبل أن تصاغ في كتاب موسع بعنـوان

[1] مع العلم ان فوكوياما لم يقل بان التاريخ انتهى في العالم كله وإنما فقط في البلـدان المتقدمـة أما في الدول الأخرى فمازال أمامها شوط كبير ينبغي أن يقطع حتى يتم الوصـول إلى المجتمـع الديمقراطي الحقيقي المؤمن بالتعددية السياسية والحرية الفكرية ورغـد العـيش عـلى النحـو الذي حصل في الغرب. انظر هشام صالح -المثقفون الامريكيون ومصـير العـالم - مجلـة الـبلاغ info@balagh.com

[2] - أستاذ كرسي ايتون لعلم السياسة، ومدير معهد جون م. أولـين للدراسـات الاسـتراتيجية في جامعة هارفارد

"صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي و إعادة بناء النظام العالمي[1].

❖ عرض الفكرة :

و تدور الفكـرة المركزيـة لهنتغتـون في هـذا الكتـاب عـلى فرضـية مؤداهـا أن المعايير الثقافية للشعوب و الأمم هي التـي سـتكون سـببا في النزعـات و الصراعـات التي تحدث في العالم. و لم تعد تتحـدد بالعوامـل الاقتصـادية أو الاديولوجيـة . فقـد صرح قائلا " فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، و المصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، و ستظل الدول و الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسـة العالميـة، سـتحدث بـين أمـم و مجموعـات لهـا حضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل[2].

و إذا كان **هنتغتـون** يقـر أحيانـا بالتـداخل بـين بعـض الحضـارات ، إلا أنه يجعل منها-أي الحضارات-خطـا مميـزا للهويـات عـن بعضـها.

---

[1] ظهر المقال لاول مـرة في صـيف 1993 في المجلـة الامريكيـة Foreign Affairs بعنوانـه الانجليزي The clash of civilization ثـم طورهـا صـاحبها في كتـاب The clash of civilization and the remaking of world order أي صراع الحضـارات وإعـادة بنـاء النظام العالمي .

[2] هانتغتون صامويل، **صدام الحضارات**. ص14 .

ويذكر الحضارات الرئيسية المؤثرة في العالم اليوم و منها الغربية، ولكنفوشيوسية، والإسلامية، و الهندية، والسلافية الارثدوكسية، والأمريكية اللاتينية و الأفريقية. و هذه الحضارات متميزة بهويتها. و عن أسباب التصادم فيما بينها نجملها فيما يلي:

- طبيعة الاختلافات البارزة بين هذه الحضارات خاصة فيما يتعلق بالدين و اللغة و الثقافة و التقاليد
- الوعي الكامل بالتميز الحضاري الناشئ عن زيادة القارب بين الأفراد في العالم .

انعكاسات نهج التحديث الاقتصادي و الاجتماعي على الهويات وما يولده من جذر الاختراق. استبعاد مهمة صهر الثقافات في بوتقة واحدة. تزايد النزعة الإقليمية الاقتصادية، المؤثرة في النشاط الثقافي. ازدواجية النظرة إلى الأخر الغربي بين تقليد نموذجه والعداوة لقيمة الثقافية.

جاء صامويل هنتجتون، ليعلن هيمنة قيم العالم الغربي على حساب جميع القيم الأخرى بما في ذلك القيم الإسلامية كما قال فوكوياما[1].

أما عن العلاقة بين الإسلام و الغرب فقد كشف هنتغتون على زيادة الديموغرافية المذهلة و هو ما أكد له زيادة تحصين الهوية الإسلامية خاصة مع الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعينها الشعوب الإسلامية، و الإحساس المتزايد بفرض الغرب لهيمنته الثقافية عليها. و وصل إلى أن الصراع سيحتدم بدون شك بين المسلمين والغرب خاصة وأنه يمتد في التاريخ بدءا بالحروب الصليبية وانتهاء بالاستعمار الغربي وإرهاب المجموعات الأصولية "و هذا التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قرونا بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر، بل قد يصبح أكثر خطرا "[2]

---

[1] قول فوكوياما:" صحيح أن الإسلام يشكل إيديولوجيا منسقة ومتماسكة شأن الليبرالية والشيوعية وأن له معاييره الأخلاقية..." "إن الإسلام هو الوحيد الذي اقترح دولة تيوقراطية كحل تعويض وبديل لليبرالية والشيوعية". لكن هذه النظرية حسب رأيه لا يمكن لها تعبئة غير المسلمين وغير الملونين وعليه فهي نظرية غير قادرة على صناعة التاريخ.
انظر فرنسيس فوكوياما: ترجمة حسين أحمد أمين" نهاية التاريخ وخاتمة البشر " مركز الأهرام للترجمة والنشر- القاهرة. ط01-1993. ص 56-57.

[2] انتغتون صامويل "**صدام الحضارات**" . ص25 .

كما أن الخطوط الحمراء بين المسلمين و الغرب تتمثل في نـزوع النخـب الإسـلامية إلى ما يسمى "التحديث دون التغريب" أي قبول المنتجات المادية للحضارة الغربية دون الحاجة لقيمها الثقافية. و هذا غير مقبول لان الحضـارة المهيمنـة في أي عصر تاريخي تنزع إلى فرض نموذجها كاملا (ماديا و ثقافيا)[1] و هذا الاتجـاه يقـول بـه أكثر من مفكر غربي فهذا **بول كندي** في كتابه "الاستعداد للقرن الواحد و العشرين "يشير إلى الأسباب العقيدية والاجتماعية التي تحول دون استعداد العالم الإسـلامي للقرن الواحد والعشرين. فإذا احتاج المرء إلى مثال عـلى أهميـة المواقـف الثقافيـة لشرح استجابة مجتمع ما للتغيير فعلية بالإسلام المعاصر[2].

هذه الدلائل تشير في مجملها إلى تأكيد الخطر الإسلامي في نظر الغرب، و هي فكرة مصنوعة في المختبرات الغربية التي تريد أن تكشف ذاتها من خلال نفيهـا للأخـر . فالغرب بعدما انهار الخطر الشيوعي بدأ يبحث عن عدو أخر يصنعه وفـق مقياسـه.

---

[1] Bernard Lewis " The west and the middle East ".

[2] بول كندي، الاستعداد للقرن الواحد والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر غازي مسـعود، دار الشروق، عمان 1993. ص: 266

فالعقل الأوروبي كما يقول الجابري لم يعد يرى المستقبل من وجهة مستقبلية بل من خلال آلية صنع السيناريوهات واستعراض الإمكانات المحتملة، ومن ثم فان الحاجة العميقة إلى العدو استدعت المراهنة على خيار " الصراع مع الإسلام "[1].

على الرغم من أن كل حضارة لها مبادئها التي تقوم عليها و التي تنبع من العقيدة الدينية أو الفلسفة الوضعية لهذه الحضارة. فان الحضارات الكبرى التي عرفها التاريخ البشري قد تكاملت فيما بينما على الرغم من التباين في أسسها الروحية أو المادية أو التي تزن بين الجانبين. فكل حضارة مصادرها و مشاربها و ما يشير إلى هذا التكامل هو اعتماد كل حضارة على بعض مآثر الحضارة السابقة و الأمثلة في ذلك كثيرة و هذا ما يؤكد وجود تماثل وتطابق بين كثير من الحضارات، و هو ما يبطل نظرية الصراع.

لا شك أن الحضارات في ارتباطها و تواصلها و تعاقبها تتدافع وتتلاقح و هذه سنة التاريخ.

[1] محمد عابد الجابري، مسالة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، ص:182 189 .

و فكرة التدافع هي فكرة وردت في المفهوم القرآني بمعنى يبطل فكرة الصراع من الأساس قال تعالى: "و لو دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض "[1]

و قال أيضا "و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا "[2].

و العبد مطالب أن يدفع بالتي هي أحسن في كل الحالات قال تعالى: "ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم "[3].

و خلاصة القول أن التاريخ ليس صداما و لا صراعا حضاريا، وبالتالي فإن الصراع الحضاري ليس حتمية تاريخية كما يزعم بعض المفكرين المعاصرين.

يلخص الأستاذ نزيه الشوقي أهم ما جاء به كتاب هنتيغتون فيقول: "يقع كتابه صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي في خمسة أجزاء رئيسية وكل هذه الأجزاء هي محاولة لتطوير نتائج ذلك

---

[1] سورة البقرة الاية 251

[2] سورة الحج ألآية : 40

[3] سورة فصلت الاية: 34

الافتراض وهي إن العالم اليوم متعدد الأقطاب والثقافات، وإن التحديث مختلف عن الغربنة. إن توازن القوى بين الحضارات أخذ في التغير، الغرب يتقهقر في نفوذه النسبي وإن الحضارات الآسيوية تقوم ببناء وتوسيع قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والعالم الإسلامي يشهد انفجاراً سكانياً بعيد المدى في تأثيراته على مستقبل الدول الإسلامية ومصحوب بنتائج عدم استقرارها من جهة وعلاقاتها مع الحضارة الغربية من جهة أخرى، إن نطاقاً عالمياً أساسه التنوع الثقافي أو الحضاري أخذ في الانبثاق: هناك مجتمعات تتقاسم روابط ثقافية تتعاون مع بعضها البعض والدول التي تجمع نفسها حول الدول الأساسية الرائدة أو الكبرى من نفس حضارتها أو ثقافتها. إن دعوات الغرب إلى العالمية تضعه دائماً في صراع مع الحضارات الأخرى وبشكل أكثر أهمية وخطورة وتحديداً مع الإسلام والكونفوشيسية وعلى المستوى الإقليمي حروب خطوط الصدع والتي تقع بشكل رئيس بين المسلمين وغير المسلمين، تؤكد الحشود التي تؤديها دول تشاطر حضارتها وتهدد بتوسيع حدود الصراع مما يجعل الدول الكبرى تسعى إلى إنهاء

تلك الصراعات. إن حياة الغربيين تعتمد على الأمريكيين وهم يعيدون تأكيد هويتهم ـ الثقافة الغربية ـ وإن المجتمع الغربي قد هيأ نفسه على اعتبار أن ثقافتهم ثقافة متميزة، وقد اتحدوا لغرض تجديدها وصياغتها ضد التهديدات من المجتمعات غير الغربية"[1].

❖ **نقد الفكرة :**

إن طرح هنتجتون جاء ليكرس استمرارية نفس الخطاب المعروف تاريخيا في حقل العلاقات الدولية وهو خطاب يعتبر الغرب رمز للتقدم والعقلانية، أما الباقي فيفتقدون للحضارة ولا ينحون إلا نحو الفوضى والعنف واللاعقلانية.

ويشير الكاتب **مارك سالز** صاحب إحدى الدراسات المهمة التي صدرت عقب أحداث 11سبتمبر2001 تحت عنوان "البرابرة والحضارة في العلاقات الدولية" إلى ثنائية المتحضرين والبرابرة التي كان الفكر الغربي يروج لها ويوظفها سياسيا في العلاقات الدولية- تاريخيا-، بل وكانت من عناصر مشروعه

[1] نزيه الشوقي، "الثقافة الهدامة والإعلام الأسود من هيروشيما إلى بغداد ومن خراب الروح إلى العولمة" دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ، 2005 ص:122

الكولونيالي، لقد طرحت الحضارة الأوربية نفسها بالنسبة للآخرين باعتبارها النموذج الكلي الذي يجب استلهامه والإقتداء به من قبل الآخرين غير الأوربيين وهم البرابرة[1].

إن طرح **هنتجتون**[2] طرح استشراقي في جوهره يعتمد على عنصرين أساسيين هما:

1- التباين المطلق، أي أن الغرب متميز عن الشرق بسبب التفوق الغربي الذي تؤمن به المنظومة الغربية.

2- الصراع المستمر، أي ديمومة الصراع الذي يكرس ثنائية الانتصار- الهيمنة.

لقد أكد **هنتجتون** أن الصراع العالمي هو صراع ثقافات وأديان وليس صراع مصالح. ينطلق هنتغنتون بترويج فكرة صدام الحضارات مؤكداً في سياق أطروحاته على فكرة أساسية وهي أن الصدام في القرن الواحد والعشرين سيكون بين الغرب من جهة والإسلام والكونفوشيسية من جهة أخرى باعتبارهما ثقافتين أو

---

[1]- سمير مرقص، الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة...الدين...القوة- من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر.ص 21.

[2] -هذا الطرح قد وضع تصوره الأول برنارد لويس في كتابه ثقافات في صراع Culture in conflitsانظر سمير مرقص مرجع سابق. ص 20. وذلك من خلال كتابه الذي أصدره عام 2000 هو ومجموعة من المفكرين بعنوان " أمور ثقافية" " culture matters"

حضارتين تؤكدان على هويتهما الثقافية رافضة الانصياع للثقافة الغربية.. وبهذا هو يروج الصراع مع الشرق المحدد لديه بالإسلام والصين، لصالح الغرب والأمريكان. وقد فسر تقدم الدول وتأخرها بسبب وضعيتها الثقافية وانتماءها الديني. وقد أرجع مؤخرا[1] مهمة تشكيل التنمية الاقتصادية والسياسية إلى العوامل الثقافية وحدها دون غيرها.

و الآن نطرح السؤال لماذا قدم **هنتنغنتون** الإسلام على أنه العدو الأول للغرب؟ هل هو ينتمي إلى معسكر المتوجسين من خطر الإسلام أم لأمر آخر؟ الجواب بكل بساطة يتمثل في أن الموجه الأيديولوجي ـ الأميركي ـ قد قرر تنفيذ خطط أميركا التوسعية أو الجيوبوليتيكية فهيأ لها منظرين على شاكلة **ص. هنتينغتون** . لكي يتحدثوا عن ظاهرة الصحوة الإسلامية لدى العالم الإسلامي والعربي باعتبارها تشكل خطرا على الغرب ومصدر الخطر في رأيه تتمثل في اعتزاز المسلمين بحضارتهم وثقافتهم الأمر الذي سيقود إلى صدام حضاري ولذلك راح يهاجم الإسلام معتبراً إياه

[1]-وذلك من خلال كتابه الذي أصدره عام 2000 هو ومجموعة من المفكرين بعنوان أمور ثقافية. Culture matters

ديناً عدوانياً بطبعه وانتشر بحد السيف ويحاول فرض ثقافته على الآخرين بالقوة.

إذن ما جاء به **هنتنغنتون** حول صدام الثقافات (بين الغرب والإسلام) ينـدرج في إطـار للسياسـة الأمريكيـة تجـاه المسـلمين، ولعـل هـذا سـيظهر عنـدما يصـف **هنتنغنتون** بأن الإسلام ومنذ البداية كان دين سيف ودين يدعو للجهـاد كوسـيلة أساسية لمحاربة الأعداء وبهذا فإن الصراع بـين المسـلمين والغـرب قـديم، وهـو مـا سوف يكون ممتداً في القرن الواحد.

من هنا جـاء تركيـز هنتنغنتـون عـلى مبـدأ الصراع وتبريـره. ثـم فلسـف مقولته بأن العالم الإسلامي يشـهد نمـواً سـكانياً بعيـد المـدى في تأثيراتـه عـلى مستقبل العالم الإسلامي نفسه وعـلى علاقاتـه مـع الحضـارات الأخـرى، فهـذا النمو في تصـاعد مسـتمر ويأخـذ أبعـاداً خطـيرة عـلى مسـتقبل العلاقـة مـع الغرب مما يجعل هذا النمو عاملاً أساسياً ومهـماً في مـد الصـحوة الإسـلامية بالعناصر الشابة النشطة المؤمنة بقيمة الحضارة الإسلامية وهذا سوف يشجع التطـرف وهجـرة العنـاصر الشـابة المدربـة مـن المسـلمين إلى أوروبـا ـ التـي

تعاني من مشكلات كثيرة في هذا الإطار ـ مما تتصاعد الصعوبة معها بخاصة إذا ما علمنا أن المجتمع الغربي نفسه لم يعد قادراً على استيعاب هذا التنوع الثقافي، وأن الصحوة الإسلامية سوف يصيبها الكثير من الضعف بينما يضع الإسلام حسب اعتقاده حل إشكاليات التسلط السياسي والتخلف الاقتصادي والضعف العسكري ولعل الاستثناء الوحيد لذلك قد يأتي في كل من أندونيسيا وماليزيا إذا نجحت هذه البلدان بالحفاظ على تحقيق معدلات عالية للتنمية.

ويشير هنتنغنتون إلى أن حضارة الغرب ستبقى الأكثر قوة محتفظة بحالة جيدة وهي تدخل الألفية الثالثة. وإن الحضارة الغربية هي الوحيدة بين الحضارات التي كان لها تأثير هائل نتيجة للعلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافات الحضارات الأخرى، لذا فإن فكرة قوة الحضارة الغربية هي التي تؤهلها على أن تكون أكثر انتشاراً بين حضارات العالم .

وتدور فكرة هنتنغتون حول مستقبل الصراع على اعتبار أن الصراع آت لا ريب فيه، وسيكون صراعاً ثقافياً وليس أيديولوجياً

أو طبقياً هذه المرة، ويأخذ طرقاً مختلفة ومـن أبرزهـا الغـزو الثقـافي عـن طريـق العولمة دون الاكتراث بحركة التاريخ وأحداثه .

عندما تحدث هنتغتون عن صراع الحضـارات الـذي سيشـغل العـالم طيلـة القرن الحادي والعشرين فانه غفل بـان الصراعـات المختلفـة ليسـت دائمـا بـين قسمين بين البشر يختلفـون بـاديولوجيتهم وديـانتهم عـن مخـالفيهم، فـالبشر مهما كانت أصولهم الإديولوجيـة فهـم يتقـدمون ويتـأخرون بحسـب الظـروف والأحـوال، والتـاريخ يكشـف ذلـك فالحضـارة الإسـلامية قـد بلغـت مجـدها التاريخي، عندما تـوفرت لهـا الظـروف الملائمـة، بيـنما كانـت حضـارات أخـرى تعيش تخلفها، واليوم الحضارة الغربية تقف شامخة متفوقة على غيرهـا. إذن نسي **هنتغتون** أن الصراع والانقسام موجود داخـل العـالم الإسـلامي نفسـه. ولم ينتبه إلى هذا الصراع إلا مؤخرا، وهو ما جعله يغـير رأيـه، وبالتـالي يعـدل عـن موقفه. هذا الصراع الداخلي بين دعاة الأصالة والمعاصرة بالإضافة إلى الصراعات الموجودة داخل البلدان الإسلامية. إذن ليس كـل المسـلمين لهـم نفـس التفكـير ، ولا الغـربيين يفكـرون بطريقـة واحـدة، فمـثلا مناهضـو العولمـة تجمعهـم

فكرة واحدة، هي مناهضة الرأسمالية المتوحشة وهم موجودون في كل أقطار العالم . والخلاصة من هذا أن الصراع المقبل هو صراع بين الحق والباطل أو بين الخير والشر وبين العدل والظلم، أو بين الفقر والرفاهية، وفي هذا الصراع يجد العربي آو المسلم يناضل جنبا إلى جنب مع غيره من الغربيين والأفارقة والأسيويين.

لقد أكد المؤرخون السابقون أن الحضارات قد تفاعلت بشكل كبير وان أي حضارة هي جهد إنساني ساهم في بلورته جميع الأجناس السابقة والأعراق المختلفة أما الاختلاف بين الحضارات فإنما يعود إلى تنوع العوامل والظروف وأشار إلى ذلك المؤرخ البريطاني 1889-1975 . أما **روجي غارودي** فقد تحدث كثيرا عن أهمية الحوار الحضاري وقد أشار إلى أن التعالي الغربي على الحضارة الإسلامية هو الذي افقدها بعدها الإيماني.[1]

ويمكن الاستشهاد برأي بعض الأمريكيين في الرد على موقف **هنتغتون** من الحضارة الغربية .

---

[1] عبد الله بن صالح العبيد، "الحضارات والثقافات- وئام أو صدام"؟ بحث مقدم إلى مؤتمر باريس للمنظمات الخيرية والإنسانية باريس 9 -10 / 01 / 2003م

تقول السيدة **هيلجا لاوش** وهي رئيسة مؤسسة "**تشيلر**" للنشاطات الثقافية والإنسانية في الولايات المتحدة متحدثة عن موقف هنتيجتون: "انه ليس مجرد نظرية أكاديمية بل انه سيناريو فعلي لسياسة أنغلوسكسونية، إن الحوار بين الثقافات كان دائما سمة من سمات التاريخ الإنساني حيث التقت دائما عقول العالم عبر القرون والتاريخ الإنساني أصبح اليوم في قارب واحد"[1].

وبعد كل هذا نتساءل هل من سبيل إلى ثقافة أخرى غير ثقافة الصراع ؟فهل يمكن الحديث عن حوار الحضارات ؟ وهل التعايش السلمي بين المجتمعات أمر ممكن ؟

في اعتقادنا انه لا بديل للصراع الحضاري إلا الحوار.فما هو المقصود بحوار الحضارات؟

إن جوهر الحوار هو التبادل السلمي للأفكار والآراء والمعلومات. و من سواء كان بواسطة الكلام أو غير الكلام،

---

[1] "المرجع نفسه "

ويتجلى في أشكال مختلفة منها المفاوضات و المناقشات والمناظرات و المحادثات.

و الأصل فيه انه تبادل ثنائي الاتجاه بين طرفين- أو أكثر- يتناوب كلاهما دور المرسل و المستقبل بأقدار متناسبة أو شبه متناسبة و لكن ليست متساوية بالضرورة . و الحوار، بمفهومه الموضح آنفا، يتنافى مع الصدام و يتناقض معه إلا أنه لا ينفي الصراع و أن كان يلطفه أحيانا.

و من بين الأطراف المحتملة للحوار : الحضارات والتي يٌعرف الحوار بينها بالحوار بين الحضارات أو حوار الحضارات والمقصود بذلك هو ذلك الحوار الذي يتم بين الحضارات[1] بتوسط المنتمين إليها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، لهدف موضوعي.

---

[1] . إن نسب الحوار الى الحضارات إنما هو من قبيل المجاز اللغوي لان الحضارات لا تتحاور او تتصادم بذاتها و انما تتحاور او تتصارع او تتصادم من خلال اتباعها .

و من الواضح أن الحوار بين الحضارات تنامى حجما ونوعا عبر التاريخ، ولعله الآن أفضل مما كان عليه في أي وقت مضى، وقد سجل لنا التاريخ بعض التفاعلات الحوارية بما فيها الحوار الكلامي بين عناصر من الحضارات السابقة و خاصة ما تقارب منها زمانيا ومكانيا. واستطاعت الدراسات التاريخية أن تتعقب بعض العناصر أو المكونات التي انتقلت من حضارة إلى أخرى وان تحلل بعض الحضارات إلى جذورها الممتدة داخل حضارات أخرى. و بالتأكيد فان بيان ما كان بين الحضارات من حوار لا يعني نفي أو التقليل من ما كان بينها من صراع وصدام وصل أحيانا درجة الاقتتال المسلح .

أهمية الحوار بين الحضارات: تكمن أهمية الحوار في الخروج من دائرتين كبيرتين تبتلى بها الحضارات وهما:

دائرة السلبية والانعزال: بمعنى كف أو امتناع الحضارات أو بعضها عن إقامة أي علاقات مع بعضها البعض.

دائرة التصارع : بمعنى انتهاج الحضارات أو بعضها علاقات تقوم على الصراع والتصادم والاقتتال .

واليوم هناك عوامل تجعل الحوار بين الحضارات أكثر أهمية وضرورة للجنس البشري أكثر من أي وقت مضى. ومن هذه العوامل :

1- التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدها العالم مؤخرا أدت إلى تقليل المسافات بين الأفراد والمجتمعات بشكل أدى إلى تسهيل وزيادة حجم الانتقال والتداخل(هجرة وعملا وسياحة) بين مجموعات البشرية وزيادة سرعة وحجم انتقال المعلومات والأخبار بينها

2- امتلاك بعض الحضارات أو بعض عناصرها اليوم قدرات عالية من الأسلحة التدميرية يمكن أن تستخدم في تدمير قرى ومدن بأكملها فلا بد للحوار قصد تفادي إساءة استخدام الفتوحات العلمية الأخيرة في مجالات من مثل الهندسة الوراثية و الذكاء الاصطناعي.

3- تفادي زوال بعض اللغات والقيم المثالية التي تشكل الميراث المشترك للشعوب. وتتمثل أهمية الحوار بين الحضارات في زمن العولمة أن هذا الحوار وان كان من غير المرجح أن يتمكن من أن يوقف تماما زوال اللغات والثقافات إلا أنه بالتأكيد يمكن أن يساهم في التقليل من هذا الزوال على مجمل الحضارة البشرية .

مقومات و متطلبات حوار الحضارات:

لكي نضمن الحوار أولا ثم استمراريته ثانيا وفعاليته ثالثا لابد من الأخذ بالمقومات و المتطلبات الضرورية لحوار الحضارات وهي:

1. الإيمان بالحوار: لابد أن يتوفر الإيمان بالحوار كنهج أساسي سليم وفعال للعلاقة مع الأخر و الحوار أساس العلاقات الإنسانية و الأصل فيها. والإيمان بالحوار عنصر أساسي في تأمين الرغبة في الحوار و التي لابد منها لقيام الحوار و تحديد نوعيته. فالحوار القائم على إيمان أطرافه بالحوار يعد حوارا طوعيا تقبل عليه أطرافه بمحض إراداتها مما يجعلها حوارا ايجابيا و فاعلا. خلافا للحوار

الذي تضطر إليه أطرافه أو بعض أطرافه فيظل في الغالب حوارا متعثرا غير مثمر.

2. إمكانية التواصل بين المجموعات الحضارية: إن الإيمان بالحوار لا يترجم إلى واقع عملي ما لم تتوفر فرص و إمكانيات التواصل بين المجموعات البشرية[1] على الرغم من وجود عوائق في هذا الميدان.

3. الاتفاق على مرجعية الحوار والمتمثلة في العقل أو المنطق البشري: لا يستقيم أي حوار بين طرفين أو أكثر لا يستند إلى مرجعية معينة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات و ضبط الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة . ويفترض أن لا تثور مسألة المرجعية داخل حضارة أو ثقافة أو دين معين . أما إذا تباينت المرجعيات الأساسية في الحوار بين الحضارات يغدو لازما اتفاق هذه الأطراف على مرجعية معينة تتبادل الآراء في ضوئها و تحتكم إليها

---

[1] العوائق المحتملة امام التواصل بين المجموعات الحضارية تكون اما عوائق طبيعية كبعد المسافة او عوائق اجتماعية كالقوانين التي تمنع التواصل او تحد منه. وصحيح أن التطور التقني قد قلل كثيرا من اثر العوائق الطبيعية و حد من فعالية العوائق الاجتماعية

في حسم الخلافات . وهي مرجعية العقل أو المنطق البشري وذلك باعتبار أن العقل اعدل قسمة بين البشر[1].

4. توافر المصداقية العملية: ونقصد بالمصداقية العملية التزام أطراف الحوار عمليا بقبول نتائج الحوار والبناء على ما قد يتكشف لهم من حقائق أو حق ، لهم أو عليهم، أثناء الحوار و التنفيذ العملي لما يتم الاتفاق عليه بين أطراف الحوار ..

5. عدم تهديد الحوار الحضاري للخصوصيات. أن الاعتراف بخصوصيات الآخر الحضاري ضروري لاستقامة الحوار وتعظيم نتائجه العملية.

- **في مجال العلاقة مع الأخر:**

مواصلة للحديث عن العلاقة التي تجمع الفاعلين على المستوى الدولي بغيرهم نود الحديث عن ما يعرف بالحديث عن الارهاب.

---

[1] مقولة تنسب الى الفيلسوف الفرنسي ديكارت

- **الحرب على الإرهاب:**

إن أخطر ما نتج عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 هو ما طرحته الإدارة الأمريكية والقوى الصهيونية ما سمي بالحرب على الإرهاب، واختزل الإرهاب العالمي في ما يمارس من طرف المسلمين وأصبح الإسلام مستودع الإرهاب. علماً أنه لا يوجد أحد في الوطن العربي والعالم من لا يرفض الإرهاب، حيث عانى العرب والمسلمون أعلى أشكال الإرهاب منذ قرون من قبل القوى الخارجية الغازية وأنظمة الاستبداد، ولا يزالون يعانون اليوم من الإرهاب الأمريكي والصهيوني، وإرهاب عدد من أنظمة القمع والاستبداد. لكن ما الإرهاب؟ وما أسباب ظهوره؟

لقد كَثُر الخلط في تعريف الإرهاب حتى لا يستطيع الدارسون الوقوف على تعريف متفق عليه، لا على المستوى الدولي، ولا الغربي ولا العربي.

فما يعتبره البعض إرهاباً يعتبره الآخر شجاعةً وديمقراطيةً وعدلاً، وأبرز ذلك ما تتخذه الولايات المتحدة الأمريكية من مواقف حيث تكيل بمكيالين.

كما دأبت وسائل الإعلام الغربية وبالأخص الأمريكية على وصف كل حركة مقاومة ضد المصالح الغربية بالإرهاب، وأصبحت هذه الكلمة السحرية سيفا يسلط على رقبة كل من يتجرأ على رفض الهيمنة الأمريكية في العالم.

وقال الدكتور أحمد نوفل إن الحضارة الغربية التي برعت في الإنتاج الزراعي والإنتاج الصناعي، وبرعت في الإنتاج السينمائي والفني والموسيقي، برعت فيما هو أعظم من كل ذلك وأبعد أثراً، لقد برعت في فن إنتاج وتسويق وترويج المصطلحات. فلا يكفي أن تنتج في الصناعة، فلا بد من تسويق وتشويق، وترويج المصطلحات. وليس مصطلح "**الإرهاب**" و"**مقاومة الإرهاب**"، و"مكافحة الإرهاب" بأول إبداعاتهم، ولا آخرها، هذا المصطلح الذي غدا أكثر المصطلحات ذيوعاً ورواجاً.[1]

- **مفهوم الإرهاب:**

إن الإرهاب ليس بالأمر الجديد على العالم، قَدْ تمت صناعته مع أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، بل هو عمل قديم قدم

---

http://www.ju.edu.jo/publication/cultural67/Islam4.htm (1)

التاريخ استخدمته أمم سابقة ولاحقة، ولم تنجُ منه أمة من الأمـم، ولا أي بلـد مـن البلدان في العالم.

ولكل حالة من حالات الإرهاب مسبباتها، وجذور لنشأتها، حيث تختلـف كلّ حالة عن الأخرى، من حيث الأهداف والغايات والوسائل. كـما تختلـف نوعيـة الإرهاب من حقبة زمنية إلى حقبة زمنية أخرى، ومـن بيئـة إلى بيئـة، ومـن ظـرف زمني إلى ظرف زمني آخر.

- **مفهوم الإرهاب في مصادر اللغة العربية:**

عند دراسة المفاهيم والمعاني لا بد أولاً من الرجوع إلى معاجم اللغـة الأصـيلة، وملاحظة تطور المعنى في المعاجم الحديثة وبالنظر في ذلك نجد في لسـان العـرب، ما يأتي: (رَهِـبَ بمعنـى خـاف والاسـم الرَّهَـبُ، كقولـه تعـالى: ﴿مِـنْ الرَّهْـبِ﴾ أي بمعنى الرهبة، ومنه: "لا رهبانية في الإسلام"... كاعتنـاق السلاسـل، والاختصـاء، ومـا أشبه ذلك مـما كانـت الرهابنـة تتكلفـه، وقـد وضـعها اللــه عـز وجـل عـن أمـة

محمد ﷺ، وأصلها من الرَّهْبَنَةِ: الخوف، وترك ملاذ الحياة كالنساء..).[1]

كلمة الإرهاب مشتقة من (رهِب): بالكسر، يرهب، رهبة. ورهباً -بالضم، ورهباً بالتحريك بمعنى أخاف.[2]

وترهّب غيره: إذا توعّده، وأرهبه ورهّبه: أخافه وفزعه. ورهب الشيء رهباً ورهباً، ورهبه: خافه. والاسم: الرّهب، والرهبي، ورهبوت، والرهبوتي.[3]

وكلمة "**إرهاب**" تشتق من الفعل المزيد (أرهب)؛ ويقال أرهب فلانا: أي خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (**رَهَّبَ**)، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (**رَهِبَ**)، يَرْهبُ رَهْبَةً ورَهْبًا ورَهَبًا فيعني خاف، فيقال: رَهِبَ الشيء رهباً ورهبة أي خافه. **والرهبة**: الخوف والفزع، أما الفعل المزيد بالتاء

([1]) لسان العرب لابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر ودار بيروت: بيروت، 1955م / 1374 هـ) ج 8، ص 337، بتصرف.

[2] **د.** محمود يوسف الشوبكي مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م

([3]) انظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975م، مادة: رهب.

وهو (**تَرَهَّبَ**) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية... إلخ، وكذلك يستعمل الفعل تَرَهَّبَ بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا: أي توعده، وأرهَبَه ورهَّبَه واستَرْهَبَه: أخافَه وفزَّعه. وتَرَهَّب الرجل: إذا صار راهبًا يخشى الله. والراهب: المُتَعَبِّد في الصومعة.[1]

وفي المعجم الوسيط، الإرهابيون: (وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية).[2]

وفي المنجد كلمة الإرهابي تدل على كل (من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطة).[3]، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية.[4]

و"**الإرهاب**" في الرائد هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، و"**الإرهابي**" هو مَنْ يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض

([1]) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1407 هـ /1987م، باب الباء فصل الراء، ص 118.

([2]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة 1972م، ص 282.

([3]) المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط 29، 1986م، ص 280.

([4]) المرجع السابق ص 282.

أخرى، و"**الحكم الإرهابي**" هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة الشعب بالشدة والعنف بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية والاستقلالية.[1]

ويقل وجود صيغة (الإرهاب) في المصادر الأصلية في اللغة العربية، وقد ذكر الزبيدي في تاجه: الإرهاب بالكسر: الإزعاج والإخافة[2]، كما ذكر أصحاب المعجم الوسيط كلمة (الإرهابيون) وفسروها بأنها: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.[3]

وتجدر الإشارة إلى أن المعاجم العربية القديمة قد خلت من كلمتي (الإرهاب) و(الإرهابي) لأنهما من الكلمات حديثة الاستعمال، ولم تعرفهما الأزمنة القديمة[4]، وهذا الكلام حق حيث نلاحظ أن تعريف الإرهابي والإرهابيين في المعجم الوسيط والمنجد، قد أصبح معنى الإرهاب فيهما يدل على كل من يسلك

([1]) الرائد معجم لغوي عصري، مسعود (جبران)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1967م، ص 88.

([2]) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، مكتبة التجارة، بيروت.

([3]) المعجم الوسيط،إبراهيم مصطفى أحمد وآخرون، دار الدعوة،اسطنبول تركيا، مادة: رهب، ص 282.

([4]) الإرهاب والعنف السياسي، كتاب الحرية، عز الدين (أحمد جلال)، العدد 10، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، رجب 1406 هـ / مارس 1986، ص 20.

سبيل العنف لتحقيق غرض سياسي، فردًا كان أو جماعة أو دولة. وهذا ما تعرفه العصور الحديثة

أما عن أسبابه في هذا العصر فنرى إن الإرهاب الحالي، نشأ من سبب يكاد أن يكون وحيداً، أو سبباً رئيسياً في نشأته، ألا وهو الاستعمار الغربي بأشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، عبر ثلاثة قرون من النهب والقهر والاستعباد والترويع لشعوب العالم الثالث عامة وللبلدان العربية والإسلامية خاصة. وخلق كيان صهيوني يشكل النموذج الأمثل للإرهاب في الترويع والقتل والتدمير لكل أشكال الحياة، وسرقة الأرض وطرد أصحابها الأصليين وغيرها من الممارسات الإرهابية التي تعتبر من أبشع أشكال وصور الإرهاب.

بالإضافة إلى هذا السبب هناك أسباب ثانوية، ومنها التخلف، والجوع، وتدني المستوى المعاشي، والأمية التعليمية والثقافية، وغياب الديمقراطية، وفرض أنظمة قمعية متخلفة مستبدة من قبل القوى الغربية خدمة لمصالحها في دول العالم الثالث، تستمد شرعيتها من تحالف مستغل من الداخل والخارج.

كما أن الصراع والمنافسة على مصادر الطاقة والثروات والأسواق في العالم الثالث بين القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، الذي أدى إلى نهب ثروات الشعوب، والتي كانت ستشكل حالة إنقاذ لتلك الشعوب من الفقر والتخلف، واستخدامها في تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية، تؤدي إلى تغيرات جذرية في نمط المعيشة المتدنية، والارتقاء بها إلى مصاف الأمم المتطورة. هذا النهب لا عقلاني من قبل القوى الإمبريالية للثروة، أدى إلى ظهور تنظيمات وجماعات إرهابية، إما رداً على ذلك النهب، أو خدمة لمصالح الناهبين[1].

مفهوم الإرهاب عند الغرب:

مفهوم الإرهاب عند الغرب يختلف باختلاف المفاهيم والتعريفات الكثيرة والمتباينة فلم يتفقوا على تعريف واحد، ومن هذه التعريفات ما يلي:

[1]- زبير سلطان، الإرهاب صناعة غربية أمريكية صهيونية، بحوث ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2005

ورد في قاموس "المورد"[1] أن كلمة (**Terror**) تعني: "رعب، ذُعر، هول، كل ما يوقع الرعب في النفوس، إرهاب، عهد إرهاب"، والاسم (**Terrorism**) يعني: "إرهاب، ذعر ناشئ عن الإرهاب"،و(**Terrorist**)تعني: "الإرهابي"،والفعل (**Terrorize**) يعني: "يُرهب، يُروِّع، يُكرهه (على أمرٍ) بالإرهاب". وهذا نفس المعنى الوارد في معاجم اللغة العربية.

وفي قاموس أكسفورد "**Oxford Dictionary**": نجد أن كلمة (**Terrorist**) "الإرهابي" هو الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية، والاسم (**Terrorism**) بمعنى "الإرهاب" يُقصد به "استخدام العنف والتخويف أو الإرعاب - قتل وتفجير-، وبخاصة في أغراض سياسية".[2]

يقول لنا أحد قواميس اللغة الإنجليزية إن كلمة (**Terror**) تعني "استعمال العنف لتحقيق أغراض سياسية" ثم يعطينا على

([1]) المورد- قاموس إنكليزي عربي، البعلبكي (منير) دار العلم للملايين، بيروت، ط 31، 1997م.
[2] See: Oxford Universal Dictionary, Compiled by Joyce M. Hawkins, Oxford University Press, Oxford, 1981, p. 736.

هذا الاستعمال مثلا بجملة تقول "إن حركة المقاومة بدأت حملة من العنف (**Terror**) ضد قوات الاحتلال.[1]

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (**C.I.A.**) قد تبنت في عام 1400هـ(1980م)، تعريفًا ينصُّ على أن "الإرهاب هو التهديد باستعمال العنف أو استعمال العنف لأغراض سياسية من قبل أفراد أو جماعات، سواء تعمل لصالح سلطة حكومية قائمة أو تعمل ضدها، وعندما يكون القصد من تلك الأعمال إحداث صدمة، أو فزع، أو ذهول، أو رُعْب لدى المجموعة المُسْتَهدَفَة والتي تكون عادة أوسع من دائرة ضحايا العمل الإرهابي المباشر. وقد شمل الإرهاب جماعات تسعى إلى قلب أنظمة حكم محددة، وتصحيح مظالم محددة، سواء كانت مظالم قومية أم لجماعات معينة، أو بهدف تدمير نظام دولي كغاية مقصودة لذاتها".[2]

---

[1] Longman Dictionary of English Language and Culture, London, 1993.

([2]) انظر تمويل الإرهاب، جيمز آدمز شركة سيمون وشيستر (بالإنجليزية) نيويورك 1986م: 6، نقلًا عن: الإرهاب في العالمين العربي والغربي، للتل، ص 13-14، الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل اليازجي ود.محمد عزيز شكري، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط1، 2002م، صفر 1423هـ ص129.

وعرفته وزارة العدل الأمريكية سنة1984م بأنه سلوك جنائي عنيف يقصد به التأثير على سلوك حكومة ما عن طريق الاغتيال أو الخطف...[1]

يقول أحدهم في مقال له بجريدة نيويورك تايمز: " إن نوع الاعتداء الجريء العنيف الذي نربطه الآن بالإسلاميين كان - بدلاً عن ذلك - مرتبطا منذ قرون بأماكن مثل اليابان وكوريا والصين" ثم يقول "والمسلمون ليسوا محتكرين للتكتيكات الانتحارية."[2]

تقول جماعة أمريكية معنية بدراسة الإرهاب: إن الإرهاب بطبيعته أمر يصعب تعريفه... حتى حكومة الولايات المتحدة لم تستطع أن تتفق على تعريف واحد. فالمثل السائر يقول إن الإرهابي عند شخص هو مناضل من أجل الحرية عند شخص آخر.[3]

([1]) الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل اليازجي ود.محمد عزيز شكري، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط1، 2002م، صفر 1423هـ ص129.

2 NICHOLAS D. KRISTOF, Terrorism Beyond Islam, "The kind of defiant and violent antagonism to the West that we now associate with Islamists was for centuries linked instead to places like Japan, Korea and China. …But Muslims have no monopoly on suicide tactics; think of all the Japanese kamikaze pilots in World War II. NewYork Times. January 8, 2002

3 http://www.terrorism.com/terrorism/def.shtml



تعرف موسوعة **Encarta** الالكترونية الأمريكية الإرهاب بأنه استعمال العنف، أو التهديد باستعمال العنف، من أجل إحداث جو من الذعر بين أناس معينين. يستهدف العنف الإرهابي مجموعات أثنية أو دينية، أو حكومات، أو أحزاب سياسية، أو شركات، أو مؤسسات إعلامية.

أما الكُنغرس الأمريكي فيعرف الإرهاب بأنه "عنف واقع عن قصد وترو وبدوافع سياسية تستهدف به منظمات وطنية، أو عملاء سريون جماعة غير محاربة يقصد منه في الغالب التأثير على مستمعين أو مشاهدين.[1]

وأما وكالة التحقيقات الفدرالية **F.B.I.** فتقول عن الإرهاب إنه استعمالٌ - أو التهديد باستعمال - غير مشروع للعنف ضد أشخاص أو ممتلكات لتخويف أو إجبار حكومة أو المدنيين كلهم او بعضهم لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية.[2]

---

1 premeditated,politically motivated violence perpetrated against non combatant targets by subnational groups or clandestine agents, usually intended to influence an audience" 22 U.S.C. 26.56f (d), quoted by Paul R. Pillar Terrorism and U.S. Foreign Policy, Brookings Institution Press, Washington, 2001, p. 13

([2]) http//www.terrorism.com/terrorism/def.shtml، وانظر مجلة الإسراء العدد41-42، ربيع الأول1423، تصدر في دار الفتوى-القدس، ص14، من مقال الإرهاب تعريفه ومسبباته، د.جعفر شيخ إدريس من المغرب.

أو هو عمل عنيف أو عمل يشكل خطراً على الحياة الإنسانية وينتهك حرمة القوانين الجنائية في أي دولة.[1]

وعرف القانون الفرنسي الإرهاب عام 1986م قانون رقم81 /1020 بأنه (خرق للقانون يقدم عليه فرد من الأفراد أو تنظيم جماعي بهدف إثارة اضطراب خطير في النظام العام عن طريق التهديد بالترهيب.[2]

ترى وزارة الخارجية أن تعريف الإرهاب وارد في المادة 22 من الدستور الأمريكي الفقرة 2656ف المقطع د: العنف المبرمج لأغراض سياسية ضد أهداف غير مشاركة بالحرب الذي تمارسه الحركات المنظمة الوطنية والعملاء والتي عادة تهدف إلى التأثير على عموم المجتمع.

أما مكتب التحقيقات الفيدرالي فيرى أن الإرهاب هو: الاستعمال الغير قانوني للعنف ضد الأشخاص والممتلكات بهدف إشاعة

(1) الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل اليازجي ود.محمد عزيز شكري، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط1، 2002م، صفر 1423هـ ص129.

(2) المرجع السابق، ص96.

الرعـب وإجبـار الحكومـة أو الشـعب أو جـزء مـنهما وبالتـالي تحقيـق أهدافـه السياسية أو الاجتماعية.

أما وزارة الدفاع فتعتقد أن الإرهـاب الاسـتعمال الغـير قـانوني للعنـف أو التهديد به ضد الأشخاص والممتلكات بهـدف إشـاعة الرعـب وإجبـار الحكومـة أو الشعب وبالتالي تحقيق أهدافه السياسية أو الدينية أو الإيديولوجية.

أما حلف الناتو ففي وثائقـه الخاصـة يعـرف الإرهـاب عـلى أنـه: "القتـل والخطف وإشعال الحرائق وما شابهها من أعمال عنف جنائيـة، بغـض النظـر عـن الأسباب والدوافع التي تقـف وراء القـائمين عليهـا". هـذا يعنـي أن أي مـن أعـمال العنف مهما كان أسبابها هي أعمال إرهابية. أي أن العمل ذا ته وليسـت دوافعـه هي التي تضفي عليه صفة الإرهاب.[1] وهذا التعريف لم يخصص الإرهاب بالهـدف السياسي.

وجـاء في اتفاقيـة جنيـف لقمـع الإرهـاب ومعاقبتـه لعـام 1937 المـادة الأولى أن الإرهـاب هـو (الأعـمال الإجراميـة الموجهـة ضـد دولـة مـا

1 http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=24716.

وتستهدف خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو عامة الجمهور).[1]

ويعرف الكاتب والناقد اليهودي جيف كوهين الإرهابي بأنه ذلك الذي يستهدف الطائرات والسفن المدنية إلا إذا نسف طائرة مدنية كوبية مما أدى إلى مقتل 73 مدنياً ومن ثم أطلق النار على سفينة شحن بولونية، كما فعل أورلاندو بوش ففي هذه الحالة فإن وزارة العدل الأمريكية تعامله برفق وتطلق سراحه وتسد سبل تسليمه... وكذلك الذي يسهل قتل 900 فلسطيني في صبرا وشاتيلا أمام وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون فإن لجنة التحقيق الإسرائيلية تحمله مسئولية غير مباشرة.[2]

ويقول الناقد الأمريكي مايكل بارينتي في كتابه اختراع أو فبركة الحقيقة: إن تحديد من هو إرهابي ومن ليس إرهابياً تقرره سياسة وسيلة الإعلام التي تصفه، فحرب العصابات الشعبية تصفها وسائل الإعلام الغربية عادة بالإرهابية، بينما يوصف

([1]) الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل اليازجي ود.محمد عزيز شكري ط1،ص63.

([2]) أنظر/ مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، عدد291، شهر5، 2003م، من مقال أجهزة الإعلام الغربية وموضوع الإرهاب، نبيل دجاني، ص31.

المرتزقة في أنغولا ونيكراغوا وموزمبيق مما توظفهم وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بالثوار، وهذه الوسائل تنعت عمل الدول اليسارية التي تدافع عن نفسها في وجه هؤلاء الثوار بإرهاب الدولة ولا تستعمل هذا النعت للأعمال التي تقوم بها أمريكا ضد الحركات التحررية والدول المعتدى عليها.[1]

وعرف ريغان وشولتز الإرهاب وهما يدينانه بأنه "الاستخدام المحسوب للعنف، أو التهديد بالعنف للوصول إلى أهداف ذات طبيعة سياسية أو دينية أو أيديولوجية... من خلال الترهيب والإجبار وبث الخوف".[2] وهنا لم يشيرا إلى العنف ذو الهدف الاقتصادي.

ويعرف توني بلير الإرهاب بأنه "قتل المدنيين الأبرياء عمداً حتى أن بعضاً من تلك الدول تمارس الإرهاب مثل حرب باكستان على كشمير".[3]

([1]) المرجع السابق، ص32.

([2]) أوهام الشرق الأوسط، ناعوم تشومسكي "يهودي أمريكي معتدل"، تعريب شيرين فهمي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1424هـ 2004م، ص88.

3 http://www.org/musings/blair_sept_2005.php.

ويعرف **سير بيتر يوستينفو** - وهو صحفي وممثل وكاتب مسرحي غربي مشهور- الإرهاب "هو حرب الفقراء، والحرب هو إرهاب الأغنياء.[1] وهذا مخالف للواقع، لأنه غالبا ما يمارس الأغنياء والأقوياء الإرهاب على الفقراء المستضعفين.

ويقول **ناعوم تشومسكي**-في كتابه القراصنة والإمبراطوريات والإرهاب العالمي في العالم - معرفاً الإرهاب "مفهوم الإرهاب هو كل استخدام للتهديد أو العنف وغالباً على خلفيات سياسية سواءً كان مطبقاً بواسطة الأفراد أو المجموعات أو الإمبراطوريات أو الحكومات.

ويقول **ولتر لكور** - وهو كاتب أمريكي مشهور، في كتابه الشبكة الإرهابية الحقيقية، ص22، سنة1946م - في تعريفه للإرهاب: "هو الإرهاب المنظم الذي تستخدمه الحركات كسلاح أساسي لهم".

1 http://antiwar.com/quotes.php..

ويقول **ألكسندر هيغ** - أديب أمريكي مشهور- "كل شيء لا يعجبني فهو إرهاب".[1]

في معظم التعريفات الغربية خلل أساسي وهـو تناسـيها للمعنـى اللغـوي الأصلي للكلمة وهـو معنـى تتفـق عليـه الكلمتـان الإنجليزيـة والعربيـة، إذ يشـير أكثرها إلى أن الإرهاب قتل أو خطف أو تخريب.

نلاحظ أن تعريفات الإرهاب في الغرب الاصطلاحية تختلف باختلاف الغايـة منهـا، فتعريف الكنغرس يقصد منه إحصاء العمليات الإرهابية في العالم، وتعريف وكالـة الاستخبارات يقصد منه تتبع المعتدين على الولايات المتحدة.

سيبقى هنالك اختلاف في ما يعد مشروعاً ومـا يعـد محرمـاً، وهـذا أمـر يرجـع إلى ثقافات الناس وأديانهم وفلسفاتهم، وهي أمور يمكن أن يـدور فيهـا حـوار عقـلاني راشد.

[1]The Real Terror Network Terrorism In Fact PropagandaK-EDWARDS HERMAN- First canadian edition 1985-P.22-25.

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا بمؤسساتها حريصة على عدم تعريف الإرهاب تعريفاً متفقاً عليه دولياً بل تريد أن تفرض تعريفاتها على العالم وبحسب فهمها هي فقط، أشار إلى ذلك روبرت فريد لاندر بقوله: "إن إدارة ريغن ممثلة في وزارة العدل، ومكتب التحقيقات الفيدرالية، ووزارة الخارجية تعارض بشدة إدخال أي تعريف للإرهاب محلياً أو دولياً في صلب القانون".[1]

ويمثل الموقف الأمريكي الحاقد ما ذكره الدكتور أحمد نوفل أنّ بعض المعادين أو الأعداء أشد عداوة، يستنكف عن التمييز بين المسلم والإسلام والإرهاب، فيجعلها جميعاً حزمة واحدة. والبعض أشد دهاء ولا أقول أكثر إنصافاً؛ هذا الأشد دهاء يجاملنا أو يستغفلنا إذ يمتدح الإسلام بأنه دين إنساني، ولكن كثيراً من المسلمين إرهابيون. أما القس فالويل فقد حسم الأمر (وهو الصديق الصدوق المقرب من الرئيس بوش). وقطع قول كل خطيب إذ قال: إن الإسلام بذاته دين إرهابي (لا أحسن من الصراحة دون لف أو دوران) وأن محمداً (عليه الصلاة والسلام

([1]) الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، ص96.

وحاشاه) هو أول إرهابي فمن الطبيعي- بناء عليه- أن يكون كل مسلم إرهابي.[1]

ومما يظهر كيدهم للإسلام وحقدهم عليه قول المبشر الأصولي جيري فالويل في برنامج 60 دقيقة الذي تبثه محطة **CBS** حيث قال: "إن النبي محمد إرهابي"، وقول القس المتطرف بات روبرتسون- الذي يملك أكبر شبكة فضائية دينية- واصفاً الإسلام بأنه خدعة كبيرة وأن النبي محمداً كان مجرد متطرف، لقد كان سارقاً وقاطع طرق.[2] وحاشاه من ذلك ﷺ.

- **صور من الإرهاب الأمريكي ضد العالم :**

نذكر فقط بعض العمليات الإرهابية، التي مارستها الولايات المتحدة في المنتصف الثاني من القرن العشرين. فمن أعمال الإرهاب الأمريكي في القرن العشرين، محاولة غزو كوبا، فقد شكلت المخابرات المركزية الأمريكية عصابات من المرتزقة الكوبيين، ودربتها على الأسلحة، وقدمت لها كلّ الدعم، لتقوم

---

1 http://www.ju.edu.jo/publication/cultural67/Islam4.htm.

(2) مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، عدد291، شهر5، 2003م، من مقال أجهزة الإعلام الغربية وموضوع الإرهاب، نبيل دجاني، ص33.

بغزو كوبا، وإسقاط نظـام كاسـترو فيهـا. وفعـلاً في 17 نيسـان 1961، قامـت تلـك العصابات بغزو الجزيرة الكوبية، وخاضت مع القـوات الكوبيـة المدافعـة معركـة كبيرة، سميت يومها معركة خليج الخنازير، حيث فشلت تلك المحاولـة الإرهابيـة، وأسر فيها ما يقارب 1500 أسير.

كما قامت القوات الأمريكية بغزو جزيرة غرينادا في عام 1983، تحـت ذريعـة قيـام حكومـة مواليـة للسـوفيت وكوبـا فيهـا، بعـد أن كانـت الجماهـير أفشـلت الانقلاب، الذي أعدته المخابرات المركزية الأمريكية ضد رئـيس حكومتهـا مـوريس بيشوب في 1983/10/12، وأطلقت الجماهير رئيسها من قبضة الانقلابيين. فدخلت القوات الأمريكية المسلحة بعد فشل الانقلاب إلى الجزيرة لتغـير حكومـة منتخبـة من الشعب بالرعب والإرهاب، ومن ثم تقوم بإعدام زعماء السلطة التشريعيـة في عام**1985** ، لتنهي أي أمل للشعب بالحرية، ولتحكم قبضتها الإرهابيـة عـلى هـذه الدولة الصغيرة.

وعملت الولايات المتحدة بكل الوسائل التآمرية والتخريبية من أجل إسقاط أنظمة ديمقراطية أو أنظمة اشتراكية في العالم عامة وأمريكا اللاتينية خاصة، من خلال مساندة ودعم انقلابات عسكرية، أوجدت حكاماً ديكتاتوريين، عاثوا في بلادهم فساداً وإرهاباً وقتلاً. ومن الأمثلة على ذلك تدخلها العسكري في الدومينيكان في 28 نيسان عام 1965 لمنع القوى الاشتراكية من استلام السلطة. وساهمت بشكل فعال في إسقاط الحكومة الشعبية في تشيلي، وكانت وراء مقتل مئات المناضلين من التشيليين ومصرع الرئيس التشيلي المنتخب سلفادور اللندي، ودعمت بقوة النظام العسكري الاستبدادي في ذلك البلد. وساندت ودربت وسلحت عصابات إرهابية في أمريكا الوسطى مثل عصابات الكونترا لإسقاط الحكومة الثورية في نيكاراغوا، وغزت بنما وألقت القبض على رئيسها نوريغا وأودعته في سجونها.

وفي حربها البشعة في فيتنام، التي امتدت من أواسط الستينات في القرن العشرين وحتى نهايات السبعينات منه، فقد مارست كلّ

أشكال العنف والإرهاب بحق الشعب الفيتنامي، الذي قاتل من أجل الحرية وتوحيد البلاد، وتحرير جنوب البلاد من الغزاة الأمريكيين. فاستخدمت الولايات المتحدة كلّ ما تملك من أسلحة ضد هذا الشعب العظيم المكافح، لمنعه من تحقيق أهدافه المشروعة .وألقت قنابلها بمختلف أنواعها على كلّ جزء من فيتنام الشمالية، وقدرت كمية ما ألقي عليها بحوالي طن من القنابل على كلّ دونم من أرض فيتنام.

ولم تتورع عن استخدام القنابل الكيماوية والجرثومية والنابالم وكل الأسلحة المحظورة في العالم في حربها ضد بلد صغير كفيتنام محدود الموارد، حرقت مئات الآلاف من الهكتارات المزروعة بالأرز والمواد الغذائية، وهوجمت قرى صغيرة وآمنة، وأبيدت عن بكرة أبيها دون ذنب يذكر، وتم ذلك من أجل خلق حالة من الإرهاب والرعب والخوف في قلوب الفيتناميين المناضلين لتحرير بلادهم من سيطرتها.

وخلال حرب الخليج الأولى أسقطت قواتها البحرية طائرة إيرانية مدنية عام 1988 في مياه الخليج دون أي سبب، يبرر تلك الجريمة،

فقتلت العشرات من ركابها. وقصفت بطائراتها الحربية القصر الرئاسي في بنغازي. وساندت ولازالت حركة التمرد في السودان أمثلة لها كثيرة في العالم.

ومن الإرهاب الممارس كانت ضرورات المصالح في أفغانستان تتطلب إزهاق مئات الأفغان الأبرياء ومن جنسيات أخرى، وفق العرف الأمريكي، ومورس الإرهاب بشكل تعجز عنه عصابات المافيا، كما حدث في قلعة جانجي قرب مدينة مزار الشريف الأفغانية، فتم ذبح أكثر من خمسمائة أفغاني وعربي وباكستاني وشيشاني خلال ثلاثة أيام (26 و27 و28 تشرين الثاني2001) من خلال القصف الجوي للطائرات الأمريكية، وقصف أرضي وإدخال جيش الشمال المتحالف مع الولايات المتحدة وبريطانيا بقيادة إرهابي كبير هون الجنرال الأمي دوستم.

والإرهاب الأكبر كان ومازال هو ما تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من دعم مطلق مادياً وعسكرياً وسياسياً للكيان الصهيوني، الذي يقود إرهاباً منظماً تحت أبصار العالم وأسماعه ضد

العرب عامة والفلسطينيين خاصة، وهـذا الـدعم كـان منـذ أن تواجـدت عصـابات الصهاينة على أرض فلسطين. فإن صناعة ودعم الإرهـاب الصـهيوني بـدعم الغـرب عامة والولايات المتحدة خاصة، وحده يحتاج إلى كتاب ذي مجلدات ضخمة.

الفكر العولمي والسيطرة على العالم

منذ أن سيطر الرّومان على العالم لم تستطع أمة أن تفرض سيطرتها وتهيمن على الآخرين كلّيا باستثناء الولايات المتّحدة. فما هي ابعاد هذه السيطرة ؟

صرحـــت مجلـــة "الايكونوميســـت" حســـب احـــد المختصـــين[1] فقالـــت:"فـــإنّ الولايـــات المتحـــدة تعيـــد تركيـــب العـــالم كـــما تريـــد، فهي تسيطر على قطاع الأعمال والتجـارة والاتصـالات واقتصـادها مـن

---

[1] **جوزيف ناي** عميد في جامعة هارفرد، رئيس مجلس الاستخبارات الوطني الأمـريكي ومسـاعد وزير الدفاع في عهد إدارة كلينتون، له العديد من الكتابات في أشهر الصحف مثـل النيويـورك تايمز، والواشنطن بوست، والوول ستريت، وله العديد أيضا من الكتب والمؤلّفات أبرزها كتـاب "الطبيعة المتغيّرة للقوّة الأمريكيّة.

أنجح الاقتصاديات في العالم وهي الأقوى والأفضل عالميا من حيث القوّة العسكريّة"[1]. ما نراه اليوم على ارض الواقع وفي الوضع الدولي الجديد السائد يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بان العولمة ليست سوى مفهوما مرادفا للأمركة انطلاقا من هيمنة أمريكا الاقتصادية في العالم وذلك بالنظر لضخامة الاقتصاد الأمريكي وسيطرة رأس المال الأمريكي على مشروعات في معظم أرجاء المعمورة خاصة كما ان الدولار الأمريكي اصبح وسيلة التبادل وأداة التسوية الرئيسية لمعظم دول العالم إضافة لسيطرة امريكا على الأنشطة الاقتصادية الحساسة والمهمة مثل صناعة المعلومات والبرمجيات والخدمات والتحويل حيث تحولت امريكا الي اكبر سوق لاستثمار رؤوس الاموال الاجنبية.

أما وزير الخارجيّة الفرنسيّة السابق "**هوبير فيدرين**"فقد قال في عام 1999 أن الولايات المتّحدة قد تخطّت مرحلة القوّة

[1] نقلا عن جوزيف ناي من مقال " حدود القوة الامريكية " ترجمة: علي حسين باكير
http://www.geocities.com/adelzeggagh/limits.html
America's World, "The Economist, 23 October 1999.

العظمى في القرن العشرين إلى أكثر من ذلك "فالهيمنة الأمريكيّة امتدّت إلى كافّة النواحي الاقتصاديّة والماليّة والعسكريّة العالميّة لتطال طرق الحياة واللغة والانتاج الفكري والثقافي للآخرين، لتعيد تشكيل الأفكار وتسحر حتّى أعداءها"[1]. وهو ما يعني ان الولايات المتحدة قد وصلت الى مرحلة من الهيمنة الكاملة على العالم "فالنظام الدولي اليوم لم يعد يقوم على توازن القوى كما كان عليه الأمر سابقا و إنما أصبح نظام القطب الواحد والهيمنة الأمريكية"[2]، حيث زاد الاعتماد العالمي عليها ممّا دفع بالكثيرين للقول إن العولمة في هذا العصر ما هي إلا امبرياليّة أمريكيّة متنكّرة

[1] Lara Marlowe, "French Minister Urges Greater UN Role to Counter US Hyper power," The Irish Times, 4 November 1999. In 1998,."Hubert Védrine with Dominique Moisi, France in an Age of Globalization (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2001).

[2] Robert Kagan and William Kristol, "The Present Danger," The National Interest (Spring 2000).

بأشكال عديدة، فالعولمة بحسب المجلّة الألمانية "داشبيغل" ترتدي ملصق "صنع في الولايات المتّحدة الأمريكيّة"[1].

يقول الأمريكي **توم فريـدمان:** "نحـن أمـام معـارك سياسـية وحضـارية فظيعـة، العولمة هي الأمركة، والولايـات المتحـدة قـوة مجنونـة، نحـن قـوة ثوريـة خطـيرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق. إن صندوق النقد الدولي قطة أليفه بالمقارنة مـع العولمة. في الماضي كـان الكبـير يأكـل الصـغير، أمـا الآن فـالسريع يأكـل البطـيء".[2]

فالعولمة بالمفهوم المعـاصر (الأمركـة) ليسـت مجـرد سـيطرة وهيمنـة والـتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، فهي تمتد لتطال ثقافـات الشعوب والهوية القومية والوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السـلوك وأنمـاط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة (غربية

---

1 William Drozdiak, "Even Allies Resent U.S. Dominance," Washington Post, 4 November 1997.

2 - مصطفى العبد اللـه الكفـري، "العولمـة الاقتصـادية وفـرض هيمنـة الاقتصـاد الرأسـمالي"، مجلة الحوار المتمدن، عدد 1148 الصادر بتاريخ 2005/2/26 عن جريدة الشرق الأوسـط ، العدد الصادر بتاريخ 1997/3/2

أمريكية) تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصالحه. وأكد ذلك الرئيس الأمريكي السابق **جورج بوش** حين قال بعد انتهاء حرب الخليج الثانية: "إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي".[1]

وقد سبقه **روزفلت** في التصريح بأمركة العالم عندما قال: "قدرنا هو امركة العالم تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة عندئذ يمكن آن تتوغلوا بعيدا"[2]

ومن هنا تأتي المخاوف ليس على العالم الثالث بل و اوربا ايضا " في إطار مفهوم أوربا الموحدة تسعى المجموعة الأوربية إلى بلورة

1. الأسبوع الأدبي، العدد رقم 602 الصادر بتاريخ 1998/3/14، اتحاد الكتاب العرب سوريا ص:19

[2] عبد الرحمن تيشوري، "العولمة مرة اخرى ترويج للعصر الامريكي"، الحوار المتمدن، العدد:19-12-2005

http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp

ثقافة أوربية واحدة تعمق الانتماء الثقافي والإرث التـاريخي الـذي يـدعم مسـاعي الإندماج الثقافي "[1].

❖ لماذا التحريض على الإسلام و المسلمين؟

انطلق الهجوم الصهيوني والغربي الإعلامي والسياسي والثقـافي، بمـا يحمـل مـن أكاذيب وافتراءات ضد الإسلام، لخلق عدو وهمي، ولتخويـف الغـرب مـن الإسـلام باعتباره شراً، وأتباعه هم إرهابيون، وقتلة، ومتخلفون. كما طرح جورج بـوش الأب في عام 1991. وعبر كل من المستشار الألماني ورئيس الـوزراء الفـرنسي مـع سـكرتير حلف شمال الأطلسي في عـام 1995 بـأن الأصـولية الإسـلامية خطـيرة مـثلما كانـت الشيوعية للغرب. وعضو في إدارة كلينتون أشار للإسلام بأنـه خصـم عـالمي للغـرب وهذا مخالف لكثير من النصوص القرآنية .

[1] محمد علي حوات، "العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل".ص:179.

- **الصهيونية وحملة الافتراء:**

الشريعة اليهودية من خلال توراتها وتلمودها، تعتبر كلّ البشر عدا اليهود هم بمستوى الحيوانات، إن لم يكن أقل. لهذا أباحت تلك الشريعة استباحة أموال غير اليهود وأرضهم وأجسادهم وأرواحهم. بل من الواجب تنفيذ الاستباحة، بموجب قانون الاصطفاء الإلهي لهم من دون البشر، الذين اصطنعوه لأنفسهم من قبل إلههم، حين اختارهم شعباً خاصاً له من دون مخلوقاته .وتم البناء السلوكي والأيديولوجي للمكون الثقافي والسيكولوجي للفرد اليهودي على مر التاريخ على قاعدة الاصطفاء والاختيار الإلهي. وجاءت الصهيونية كحركة عنصرية، لتترجم هذه القاعدة عسكرياً وسياسياً وثقافياً، في أبشع أشكال العنصرية المقيتة في حق الأمة العربية عامة والشعب العربي الفلسطيني خاصة.

بنيامين نتنياهو يكتب عن الإرهاب الإسلامي!!!

نورد هنا نموذجاً من الحملات التي شنتها الحركة الصهيونية على الإسلام، هو ما كتبه زعيم إرهابي ورئيس وزراء للكيان الصهيوني

الأسبق بنيامين نتنياهو، وهو صاحب المجازر المعروفة عما أسماه الإرهاب الإسلامي، حيث ألف ثلاثة كتب حول هذا الموضوع وهي:

ـ **الإرهاب الدولي**: تحد واستجابة، وقائع مؤتمر القدس حول الإرهاب الدولي. صدر في عام 1981.

ـ **الإرهاب**: كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟. صدر عام 1986.

ـ **محاولة الإرهاب**: كيف تستطيع الديمقراطيات هزيمة الإرهابيين المحليين والدوليين؟ صدر عام 1995.

ومعظم ما جاء في تلك الكتب تحريض واضح للحكومات الغربية على الإسلام والعروبة، من خطر الإرهاب الإسلامي على أنظمتها الديمقراطية، وشعوبها، ومصالحها، لما يحمل من وسائل دمار وسلوكيات عدوانية وحقد حضاري.

ويقدم نتنياهو في تلك الكتب الثلاثة مجموعة من النصائح والوسائل لمواجهة ما زعمه من خطر الإرهاب الإسلامي. فهو يدعو الولايات المتحدة الأمريكية إلى قيادة العالم الغربي، لشن حرب ضارية ضد المسلمين، ودعاها إلى استخدام قوتها العسكرية

والاقتصادية والسياسية ضد المسلمين، إلى أن يرضخوا ويستسلموا لاتباع النمط السلوكي والثقافي والاجتماعي الأمريكي الصهيوني.

ولم يقف نتنياهو في تحريضه عند حدود بعض الدول العربية والإسلامية، بل يدعو الغرب إلى أن تشمل المسلمين في أوربا وأمريكا. فهم في رأيه بؤرة خطرة لنمو الإرهاب ضد حضارة الغرب وأمريكا، وإن تركوا فسيفسدون تلك الحضارة والديمقراطية، بزرعهم في داخلها لمبادئ الإسلام وأفكاره الرافضة لتلك الحضارة والديمقراطية.

ولا حاجة أن نقول أن ما أورده نتنياهو في كتبه الثلاثة أكاذيب وتزوير وقلب للحقيقة، بغية خداع العقل الفردي للإنسان الغربي مهما كانت مواقعه، قالباً للحقائق، بحيث يغدو الضحية قاتلاً، والمجرم الإرهابي الحقيقي ضحية.

فالكتب الثلاثة ما هي إلا جزء صغير من الحرب الصهيونية ضد العرب والإسلام، لطمس جريمة اغتصاب فلسطين، واقتلاع شعب من وطنه وأرضه، واستبداله بمجرمين صهاينة يهود من كلّ أنحاء العالم. وخلق ثكنة في المنطقة العربية مدججة بالمرتزقة والقتلة

والسفاحين والمزودين بأحدث الأسلحة والمدعومين من النظام الغـربي. وعـلى رأسـه الولايات المتحدة الأمريكية، لتحقيق مصالح المشروعين الصهيوني والغربي.

وفي العـودة إلى كتـب نتنيـاهو نجـد فيهـا أيضـاً تحريضـاً خبيثـاً للكـامن التاريخي في عقل الفرد الغربي من الموروث المعادي للإسلام، وتقديم الإسلام بصورة العدو الدائم للغرب وحضارته.وإن عدم اجتثاثه من خلال توجيه ضربة قاصمة له، سيكون الغرب وعلى رأسـه الولايـات المتحـدة في دائـرة الخطـر المميـت، وسـيكون الخطر الداهم أيضاً على مصالحه في منطقـة الشرق الأوسـط والعـالم. ولا يـنسى أن يلعب بمشاعره في الخطـورة عـلى مصـالحه الحيويـة، وخاصـة الـنفط الـذي يعتـبر عصب الحياة للصناعة في الغرب.

ومن الكـذب والتزويـر الـذي يـورده نتنيـاهو ضـد الإسـلام في كتبـه، بالإدعـاء أن الإسلام يحمل إيديولوجية غـير عقلانيـة، كالشـيوعية التـي تحمـل إيديولوجيـة غـير عقلانية. ولكن الاختلاف بينهما، أن الشيوعية ذات أسلوب عقلاني، في حين أن الإسلام ذو

أسلوب غير عقلاني. أسلوب الشيوعية عقلانياً، في حين أن الإسلام ذو أسلوب غير عقلاني؟.

إنه الخبث الصهيوني التحريضي المضاد للإسلام، حيث يعلم أن الغرب الرأسمالي وخاصة الولايات المتحدة، مازال يحمل ثقافة العداء للشيوعية، التي خاض معها صراعاً عنيفاً امتد ثمانين عاماً من القرن العشرين، وانتهى الصراع بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومعسكره الاشتراكي، وبما سمي بنهاية الحرب الباردة عام [1]1991.

❖ في مجال الاقتصاد والمال:

لاشك إن النظام المالي والاقتصادي هو أحد الأركان الركينة لأي إدارة اقتصادية ناجحة. ولعل مسألة الدخول في تفاصيل النظام المالي الغربي يحتاج منا لمجلدات فقد ألفت فيه العديد من الكتب ونشرت فيه العديد من البحوث والمقالات والدراسات. ولا نريد هنا أن نكون نمطيين واعظين دون أن نبين حقائق فعلية لا مجرد ادعاءات أو تقولات يمكن أن تدحضها تلك البهرجة

---

[1] - **زبير سلطان، الإرهاب صناعة غربية أمريكية صهيونية، بحوث ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2005**

والزخرفة التي أملتها علينا الطفرة الحضارية بأنوارها وأضوائها وفضائياتها وإعلامها والقائمة تطول.

نريد هنا فقط أن ننقل لكم الصورة الحقيقية التي يتخفى وراءها ذلك الغول المرعب المسمى بالنظام الاقتصادي الرأسمالي العولمي، بل ذلك الأخطبوط بأفرعه الجهنمية الخانقة، صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية، ومسميات أخرى عديدة".

سنعود لنعرف المبدأ الذي أنشأ عليه النظام المالي الغربي وتحديداً الأمريكي باعتباره الأقوى والأضخم والذي كانت له اليد الطولى بعد السيطرة المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية على مسرح الصراع العالمي بعد الحرب العالمية الثانية سواء في المجال الصناعي أو العسكري أو المعدني وبالتأكيد الاقتصادي بشكل عام.

سننطلق من درساتنا من مصادر غربية وبحوث نشرتها جهات أمريكية وطيدة الصلة بأصحاب القرار في الدولة أو الإمبراطورية الأكثر نفوذاً في التأريخ البشري، وهم المشرعون الأمريكيون وأعني بهم شيوخ المجلس أو مجلس الشيوخ الأمريكي - الكونغرس-

الذي يحوي المجموعة الأكثر نفاذاً وتأثيراً على مصائر شعوب وأمم وليس أفراد بعينهم.

حقيقة بداية العمل الربوي تعود لأزمنة سحيقة عندما ظل بعض العوائل من التجار اليهود مسيطرين على تجارات معينة عند كل حضارة تقوم، فتراهم يحزمون حقائبهم ليذهبوا عند تلك الحضارة ويقيموا عندها فيسيطروا على أعمال معينة.

ثم استمر الأمر هكذا مع كل شمس حضارة تشرق وحضارة تأفل، حتى جاءت الثورات الصناعية وبدأ العالم يتحول إلى عالم جديد أكثر ظلماً وانتهازاً وعبودية للناس فكان ما كان من أمر الصناعات الجديدة وسيطرة تلك العوائل التجارية بتوارثها العجيب على أهم تلك الحلقات ومن ثم انتقالها عبر أوربا ومن بعدها الولايات المتحدة بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية والبدء الرسمي لإعلان قيام الامبراطورية الصناعية والرأسمالية الأعظم والأكبر في التاريخ.

بعد ذلك بدأت الإجراءات المالية وبناء السياسة المالية التي تحفظ سيطرة تلك الامبراطورية على مقدرات العالم بغض النظر

عن معاناة البشرية، وكانت تلك العبودية المبطنة التي تحكم سيطرة مجموعة من الشركات العملاقة ومالكيها على مقدرات الاقتصاد العالمي وليس الأمريكي فقط، وكل ما يجري من معاملات تجارية ومالية في العالم في كل لحظة يدور في فلك هؤلاء. والأمر بسيط جداً وهو ببساطة عملية يطلق عليها اسم (صناعة المال) تقتضي ببساطة سيطرة مطلقة لبنوك ربوية خاصة معينة على كل الإجراءات المالية والشؤون التجارية والاقتصادية الفردية والجماعية والمؤسساتية والوطنية والأممية والعالمية بدون استثناء والتي نظمت بموجب الاتفاقية الاتحادية لتنظيم شؤون الحجز والتسعير والائتمان المصرفي 1913 (**Federal Reserve Act**) التي وقعها الرئيس الأمريكي ويدرو ويلسون (**Woodrow Wilson**) عام 1913م رغم تحذيرات العديد من الرؤساء السابقين واللاحقين والشيوخ الأكثر اعتدالاً. تلك الاتفاقية تعني ببساطة ودون الدخول بالتفاصيل جعل تلك البنوك ومالها هو السيد والناس جميعها عبيداً له بينما المفروض أن يكون العكس تماماً.

و سنسرد أقوال لرؤساء ووجهاء وسيناتوريين - شيوخ- أمريكان كانوا قد حذروا دولتهم قبل البشرية من مخاطر النظام المالي الرأسمالي الربوي المدمر قبل وبعد توقيع ويدرو ويلسون (**Woodrow Wilson**) عام 1913م على الاتفاقية الاتحادية لتنظيم شؤون الحجز والتسعير والائتمان المصرفي يقول توماس جيفرسون (**Thomas Jefferson**) "إذا ما قبل الشعب الأمريكي بأن البنوك الربوية الخاصة بالتحكم بموضوع العملة وتداولها بواسطة التضخم أولاً ثم بالانكماش فإن تلك البنوك ستخنق الناس وتحرمهم من كل مدخراتهم وممتلكاتهم حتى إن أولادهم لا يمكنهم الفكاك إلا على كابوس حقيقته هي عدم امتلاكهم لدار يؤيهم مشردين في قارتهم التي احتلها آبائهم.. إن عملية صناعة المال يجب أن تؤخذ من البنوك الخاصة وتعود لأصحابها الحقيقيين، الشعب حيث منبعها وأصلها وأحقيتها.

ويقول جيمس ماديسون (**James Madison**) « سيسجل التاريخ أن متصرفي المال استخدموا أقذر الوسائل الممكنة من الغش والخداع والخيانة والطعن واللعن والعنف والإرهاب والقسوة

والتهديد والتعـذيب ليحكمـوا سـيطرتهم عـلى الحكومـات بسـيطرتهم عـلى المـال وتداوله وصـناعته أمـا آنـدرو جاكسـون (**Andrew Jackson**) « إذا كـان مجلـس الشيوخ - الكونغرس- له الحق وفق الدسـتور في استصـدار الـورق المـالي وصـناعة المال فقد قام بتفويض واستخدام نفسه بطريقة شخصية وضيعة تخـدم أفـراداً ولا تخدم الأمة ولا تعين على التعاون والفائدة العامة.

أما إبراهام لينكولن« (**Abraham Lincoln**) الحكومة يجب أن تقـوم باستصـدار وتدوير كل الائتمانات المصرفية والإقراضات والتداول اللازمة لتأمين احتياجات قوة الأمة والدولة والحكومة ورفاهيـة الشـعب وزيـادة قدرتـه الشرائيـة والاسـتهلاكية، بهـذه المفـاهيم والأسـس نسـتطيع أن نحجـم دور المصـارف الربويـة وتحكمهـا بمقدراتنا ونمنع المال وربائبه أن يكونوا هم السادة بل يكونا خدماً وعبيـداً للنـاس أجمعين:«وأخيرا يقول ويدرو ويلسون (**Woodrow Wilson**) بعد أن لم يسـتمع لنصائح غيره واستمر بالتوقيع على تلك الاتفاقيـة الأخطبوطيـة المرعبـة، قـال بعـد عدة سنوات قولته الشهيرة التي هي:

أنا أتعس رجل بالعالم، فلقد قمت بتخريب بلدي وأمتي، تلك الأمـة الصـناعية العظيمة، بتوقيعي على اتفاقية الائتمانات المصرفية التي أعلنت بموجبها ربط رقبة هذه الأمة بهذا النظام الظالم، فقد أصبح تطورنا وتطور مجتمعنا مرهون بيـد ثلـة من الناس تتحكم بنا كيف تشاء إن شاءت رفعتنا وإن شاءت وضعتنا. هذا القانون هو الأسوأ قـذارة والأكـثر خسـة حيـث أصـبحت حكومتنـا الأكـثر ارتهانـاً في عالمنـا المتحضر اليوم بمصالح أفراد ولم تعد لها القابلية عـلى أن تكـون مسـتقلة بقراراتهـا ولم تعد تمثل رأي الشعب وتحكم وفق مبدأ المصلحة العامة الغالبة بل هي أسـيرة رأي مجموعة محتكرة متسيدة من الناس لا تعرف سوى مصالحها فقط.

❖ **في المجال الاستراتيجي:**

أن أمريكا تسعى لكي تكـون سـلطتها مهيمنـة في العـالم بفضـل قوتهـا العسـكرية والثقافية والإعلامية وبفضل فلسفتها التي تستهتر بالأخر حيث يغيب الإقناع والتحـاور في العلاقات الدولية و المشهد العراقي يعزز هذا الرأي، فقد شنت الحـرب عـلى الـرغم

من عدم قبول هذا الفعل في بدايته لا من الاتحاد الأوربي ولا هيئة الأمم المتحدة.

اعتمدت أمريكا على مقولات السيادة المطلقة وتأسست الثقافة الأمريكية عليها.

فقد ظل الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نكسون يردد في خطبه الموجهة إلى الجيش و الشعب هذه الكلمات " اللـه مع أمريكا اللـه يريد أن تقود أمريكا العالم"[1]. قامت الولايات المتحدة على فلسفة السيادة المطلقة و قد عملت الإيديولوجية على ترويج هده الفلسفة خاصة خلال تاريخها الحديث.

و تنطلق هده الفلسفة من نقطتين أساسيتين هما:

1.الاعتقاد بأن أمريكا مكلفة بأداء رسالة اتجاه العالم.

2.الاعتقاد الكامل بأن أداء هذه الرسالة يتطلب استخدام كل الوسائل.

---

[1] -محمود حيدر،"المبانى المعرفية للمحافظين الامريكيين الجدد، فلسفة التدمير الخلاق" . مجلة الفكر السياسي. العدد17 .السنة الخامسة . خريف شتاء 2002.

و قد سارت الولايات المتحدة على هذين المبدأين خاصة في القرنين الآخرين.

إن الغرب يستعمل كل الطرق لفرض قيمه و ثقافته و يخترق بإعلامه و فكـره و جواسيسه كل المنظومات، و يقنن هذا الاختراق باسم النظـام العـالمي الجديـد.و فكرة السيطرة أو الهيمنة عميقة في التفكير الغربي.

لقد قام الاستعمار في نظر البيض برسالة حضارية من خلال تقويض كل القـيم و المبادئ والبنى التحتية للمجتمعات المستعمرة مشـوها بـذلك هويتهـا و أديانهـا وتاريخها و هو دور في رأي بعض المفكرين تحديثي و تمديني.

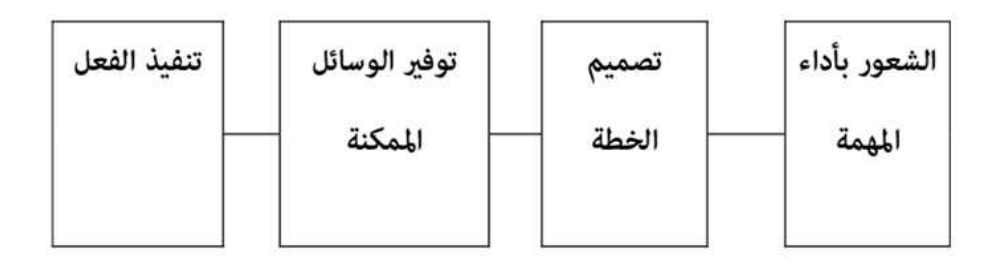
و قد أشار كارل ماركس وهو يتحدث عن الغزو الفرنسي للجزائر على أنه يزيل الرجعية و التخلف و نفس الفعل قامت به بريطانيا في الهند.

وذهــب "ميشــال بوغنــون مــوردان" في كتابــه أمريكــا التوتاليتاريــة [1] الصــــادر في بــــاريس عــــام1997 إلى أن الإيديولوجيـــة الأمريكيـــة لم

1 L'amerique Totalitaire.

تتورع عن خلع صفة الأزلية على أمريكا حيث أن ادعاء الرسالة الإلهية لم يغب يوما عن ناظرها، ثم يورد كلاما لمعاون الرئيس السابق بيل كلينتون لشؤون الأمن القومي انطوني لاك[1] فيه أن مصالحنا و مثلنا لا تلزمنا بالتدخل و حسب، بل تلزمنا أيضا بالقيادة ...من واجبنا تطوير الديمقراطية و اقتصاد السوق في العالم لأن هذا يحمي مصالحنا و أممنا و لأن الأمر يتعلق بانعكاس القيم، حيث هي في آن قيم أمريكية و عالمية " نفهم من هذا الحضور الكلي للإيديولوجية في الذهنية الأمريكية .

فالبعد الإيديولوجي يتمثل في قناعة الولايات المتحدة الأمريكية بأن لها مهمة رسالية حضارية لا بد من إنجازها و هذا الإنجاز يقتضي استخدام كل الوسائل الممكنة و وفق خطة ترسم سلفا مع الحفاظ على العنصر الإيديولوجي المولد للفعل.



[1] Antony lak

مـن الوسـائل التـي مكنـت الولايـات المتحـدة مـن إخضـاع الأمـم وفـق استراتيجية محكمة هي الاعتماد على السلطة والاحتكار.

فالسلطة يقصد بها صورة الرجـل الـذي يمثـل رئاسـة الولايـات المتحـدة و يكون موجود في مجموعات مصالح مالية وعسكرية و يعمل مع اللوبيات و أجهزة أمنية[1] .

أما عـن فكـرة الهيمنـة فقـد أدرك الكتـاب الأمـريكيين الفلسـفة التـي يحتكم إليها القادة و الزعماء الأمريكيين في قيـادتهم للشـعب الأمـريكي.و هـذا الكاتب الأمريكي "**روبـرت دكـابلان**" يتسـاءل في كتـاب صـدر لـه مـؤخرا "لمـاذا تحتاج قيادة الشعب الأمريكي إلى رمز وثني؟ فيجيب عن تساؤله هذا في كتابـه المعنون " **سياسة محارب**" بأن الروح الوثنية للقدماء هـي التـي لا زالـت تسري في دماء الزعماء الأمريكيين و الذين اسـتفادوا مـن فلسـفة هـوبز و ميكيـافيلي .حيـث يـرى كـابلان أن السياسـيين الـذي يلتزمـون بـالقيم الأخلاقيـة المثاليـة

---

[1] ميشال بينيو موردان، أمريكا المستبدة، الولايات المتحدة و سياسية السيطرة على العالم. (العولمة) ترجمة حامد فرزات – اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001 .

بدلا من الحرص على تحقيق المصالح الذاتية الأنانية محكوم عليهم بالفشل، و يصر على أن التقدم و الفضيلة يتحققان فقط عند هجران الفكر و الموقف المبنيان على أسس دينية "**حيث الغاية تبرر الوسيلة** " و القوة وحده دون غيرها جديرة بأن تسود".

و يورد **كابلان** أمثلة للزعماء ممن اتخذوا لأنفسهم ذلك الرمز الوثني **نبراسا** و منهم **شرشل** و **فرنكلين روزفلت وإسحاق رابين** وتقمص هذا الأخير دور صانع السلام لأنه عندما كان وزيرا للدفاع في إسرائيل أمر قواته المسلحة بتكسير عظام الفلسطينيين المدنيين العزل.

من الأمثلة الدالة على حضور فكرتي السيطرة و الهيمنة في السياسة التي تقود الولايات المتحدة الأمريكية. تشير الدراسات إلى وجود الكثير من الجماعات المتطرفة سواء كانت مسيحية أو يهودية داخل مجموعة الحكم في الولايات المتحدة وهذه الجماعات تعمل بإيديولوجية الهيمنة و السيطرة وترتبط بكبرى الشركات المنتجة للأسلحة و شركات النفط والمؤسسات الإعلامية الضخمة.

و توصي هذه الجماعات بما يلي:

1. هيمنة الولايات المتحدة عالميا و السيطرة على شعوب العالم واستغلاله بكافة الطرق بما في ذلك العسكرية.

2. تفضيل قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ورفض جميع المعاهدات التي لا تخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

3. الإنفاق العسكري المتزايد.

4. تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في أي مكان في العالم بموافقة الأمم المتحدة أو بدونها.

5. تأييد سياسات الاحتلال الإسرائيلي.

و ذكرت جريدة الأسبوع الأدبي في إحدى مقالاتها. مختلف المنظمات والشخصيات. المؤثرة في صناعة القرار السياسي والعسكري الأمريكي و كشفت عن مدى ارتباطها بوزارة الدفاع كمتعاقدين لبيع الأسلحة.

ويتحدث سمير أمين[1] عن هذه الإستراتيجية فيقول:"تتمحور إستراتيجية السيطرة للولايات المتحدة حول الطبيعة الجماعية

[1] المدير العام لمنتدى العالم الثالث، و رئيس المنتدى العالمي للبدائل،

للإمبرياليـة الجديـدة، وتسـتغل نقـط القصـور والضـعف في الحركـات الاجتماعيـة والسياسية "ضد- النيو لبرالية"[1]

فالعولمة بالمفهوم المعاصر (الأمركة) ليسـت مجـرد سيطرة وهيمنـة والـتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، فهي تمتد لتطال ثقافـات الشعوب والهوية القومية والوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السـلوك وأنمـاط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة (غربيـة أمريكية) تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك مـن توجـه اسـتعماري جديد يتركـز عـلى احـتلال العقـل والتفكـير وجعلـه يعمـل وفـق أهـداف الغـازي ومصالحه. وأكد ذلك الرئيس الأمريكي السابق جورج بـوش حـين قـال بعـد انتهـاء حرب الخليج الثانية: "إن القـرن القـادم سيشـهد انتشـار القـيم الأمريكيـة وأنمـاط العيش والسلوك الأمريكي"[2].

---

[1] سميرامين، الامبريالية اليوم وحملة الولايات المتحدة للسيطرة عـلى العـالم، منتـدى العـالم الثالث،
http://thirdworldforum.net/arabic/Samir_Amin_Writings/Imperialism_US_agression.htm

2. الأسبوع الأدبي، العدد رقم 602 الصادر بتـاريخ 1998/3/14، اتحـاد الكتـاب العـرب سـوريا ص:19.

وقد سبقه روزفلت في التصريح بأمركة العالم عندما قال: "قدرنا هو أمركة العالم تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة عندئذ يمكن آن تتوغلوا بعيدا"[1]

[1] عبد الرحمن تيشوري، "العولمة مرة أخرى ترويج للعصر الأمريكي"، الحوار المتمدن، العدد:19-12-2005 http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp

الخاتمة

هكذا تظهر الاختلافات جلية بين مفهوم الفكر العالمي ومفهوم الفكر العولمي وبين أدوات ووسائل الأول ونظير ذلك عند الثاني فبينما يقوم الأول على رد العالمية لعالمية الجنس البشري والقيم المطلقة، ويحترم خصوصيته، ويفرد الشعوب والثقافات المحلية، يرتكز الثاني على عملية نفي أو استبعاد لثقافات الأمم والشعوب ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوة المادية وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق على حساب منافع البشر. فالفكر الإسلامي في الأصل يقوم على العدل وإنصاف المظلوم، ويرفض الاعتداء، ويعترف بحق الأخر في الدين والرأي المخالف، أما العولمة فتقوم على الظلم، وتفتقد للعدل، وتهدف لصالح الاستكبار الغربي، وتعمل ضد مصالح الشعوب الفقيرة الأخرى، وفقا لسياسة التبعية التي تفسر العلاقة بين الغرب المتقدم، وبين العالم الثالث المتأخر.

الفهرس

انتهى الكتاب

والحمد لله

صدر للكاتب ما يلي:

1- المختار من مواضيع البكالوريا في الفلسفة 1989، دار الأفاق الابيار

2- في رحاب الفلسفة 1994 ، دار الجاحظية للنشر والتوزيع.

3- في ظلال الفلسفة 1995، دار هومة للنشر والتوزيع.

4- منهج التغيير في فكر سيد قطب ، 2004 دار هومة للنشر والتوزيع .

5- العولمة من الاقتصاد إلي الايدولوجيا، 2009 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

6- العولمة فلسفتها ، مظاهرها وأثارها ، 2009 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

7- وجوه الفلسفة ، 2009 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

8- أعلام الفلسفة الغربية الحديثة 2011 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

9- الأسس الفلسفية للعولمة الاقتصادية 2011 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

10- الفكر العالمي والفكر العولمي (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)2012

11- مصطلحات العولمة: 150 كلمة لفهم العولمة.2012 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)

12- من حكم الفلاسفة 2012 (دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع)



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
في اطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب

